
اجاثا كريستي

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية



برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الفخ

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

الناشـر :

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ١١/٨٤٩٢ بيروت ـ لبنان

تلكس MUSIC 45328 LE

الغلاف
بريشة الفنان
عبد العال

الفصل الأول

راح «لانسكوم» العجوز يرفع الستائر عن نوافذ الواجهة الأمامية لقصر «أندربي» العتيق بيدين مرتجفتين متحاملاً على نفسه حتى يكون في استقبال أفراد الأسرة عند عودتهم بعد تشييع جنازة سيده «رتشارد أبرناثي» رب القصر... إن «لانسكوم» لم يستطع أن يغالب مشاعر الحزن التي تملكته لفقد سيده الطيب القلب الذي عاصره عشرات السنين كان فيها بمثابة الأب البار لأشقائه وأبناء وبنات أشقائه قبل أن يتفرقوا منذ خمس وعشرين سنة في سبل الحياة ومسالكها، حتى أن «لانسكوم» لم يكد يعرف بعضهم عند عودتهم إلى القصر لتشييع الجنازة، خصوصاً وقد طعن في السن ودب في أبصاره ذلك الضعف الشديد الذي يكاد يعجزه عن تمييز الوجوه... ومع ذلك - فإنهم تذكروه جيداً عندما رأوه بعد هذه السنوات الطويلة حتى أن «كورا» شقيقة الفقيد هتفت تحييه بهذه العبارة: «آه!.. هذا هو «لانسكوم» بخير!»... والواقع أن رئيس الخدم العجوز تأثر بهذه الكلمات رغم أن «كورا» أغضبت شقيقها الأكبر بانفصالها عن الأسرة وزواجها من «لانكنير» الرسام الفرنسي المغمور، وكانت هذه الخطوة متمشية مع ما عرف عنها من غرابة الأطوار...

ومهما يكن، فلم يمض ربع ساعة حتى توافد أفراد الأسرة في سياراتهم، واستقروا في النهاية في قاعة الجلوس الكبرى الخضراء...

وقرب المدفأة التي كانت تتراقص فيها ألسنة اللهب وقف المحامي «أنتويسل» منفذ الوصية وصديق رب الأسرة الراحل يتصفح

الوجوه في هدوء بنظرات الخبير. .

استقرت نظراته أولاً على وجه «هيلين» أرملة شقيق رب الأسرة. . كان يعرفها جيداً ويخصها باحترامه، ورغم أنها الآن تناهز الخمسين من عمرها وقد دب المشيب في شعرها فإنها ما زالت محتفظة بحيويتها التي كانت تتجلى في عينيها الزرقاوين. . .

وسرح بنظراته إلى «مود» زوجة «ثيموزي» الشقيق الوحيد المتبقي على قيد الحياة. . . إن الفرصة لم تسنح له لكي يعرفها جيداً. . . ولكنها بدت له امرأة قوية البنية مقتدرة، ولا شك أن هذه الصفات كانت عونها الكبير في احتمال متاعب زوجها المريض الذي لا يبرح الفراش ولا يكف عن الشكوى، رغم أن هناك من يرتابون في حقيقة علته ويعزونها إلى الوهم أو المبالغة. . .

ثم انتقل المحامي الكهل بنظراته إلى «جورج كروسفيلد» الشاب، ابن أخت رب الأسرة المتوفي. . . كان «جورج» يعمل في مكتب للأشغال القضائية، وكان شاباً وسيماً، ولكن كان من المعروف أن موارده المالية محدودة، وأن ظروف حياته تحيط بها الشبهات. . .

واستقرت نظرات المحامي الكهل عند «روزأموند»، ابنة أخت رب الأسرة الراحل. . . كانت جميلة المحيا وهي تركز نظراتها المفتونة في باقة الزهور الصناعية الموضوعة فوق الطاولة الرخامية. . إن أضواء المسرح قد اجتذبتها فاشتغلت بالتمثيل، وتزوجت «مايكل شان» الممثل. . . ومع ذلك فإن المحامي الكهل لم يستطع إلاّ أن يحول نظره في نفور عن هذا الممثل الشاب الوسيم الأشقر الشعر الذي لم يكن له ماض معروف. . .

وكانت «سوزان» ابنة الأخت الثانية جالسة عن كثب، فراح يتفرس في محياها بإمعان. . . كانت ملامح وجهها الفاتن تنم عن قوة الشخصية، ولو أنها اشتغلت بالمسرح لكانت أقرب إلى النجاح من «روزاموند». . . وجلس قربها «جريجوري بانكس» مساعد الصيدلي

الذي تزوجته منذ شهور، وكان شاحب الوجه متوتر الأعصاب، حتى عجب المحامي الكهل من حالته، ولكن لعل ذلك بسبب وجوده وسط هذا الجمع العائلي الذي ضمه لأول مرة...

وكان آخر من تفحصهم المحامي الكهل بنظراته هي «كورا لانكنير»، شقيقة «رتشارد» الصغرى... مسكينة «كورا»!... كانت مصدر تعب للأسرة نتيجة لتلك العادة القبيحة التي تأصلت فيها والتي كانت تجعلها تنطق فجأة بكلام غريب كان من الخير ألاّ تقوله... وبلغ من غرابة أطوارها وتهورها أن أحداً لم يخطر له أنها يمكن أن تتزوج... ومع ذلك فإنها فاجأت الأسرة ذات يوم، على طريقتها المعتادة، بأنها سوف تتزوج «بيير لانكنير» الفرنسي الذي قابلته في معهد للرسم بالألوان حيث كانت تتدرب على هذه الهواية الفنية... نعم أن شقيقها الأكبر «رتشارد» عارض هذا الزواج بشدة، لاعتقاده بأن الشاب من طلاب الثروة، ولكن معارضته ذهبت سدى بعد أن هربت «كورا» مع الشاب وتزوجته غير عابئة بغضب الأسرة، وعاش الزوجان فترة طويلة في مقاطعة «بريتاني» الفرنسية وإقليم «كورنوول» البريطاني وغيرهما من مواطن الفن... ومع أن «لانكنير» لم يكن رساماً موهوباً ولا زوجاً مثالياً، إلا أن «كورا» ظلت مخلصة وفية له، ولم تغتفر قط لأسرتها مسلك الجفاء الذي سلكته نحوه... ورغم هذا فإن «رتشارد» كان كريماً حيال شقيقته الصغرى، فقد منحها مرتباً مكنها من العيش هي وزوجها في يسر... لكن «لانكنير» توفي منذ نحو عشر سنوات... وها هي «كورا» جالسة الآن في ملابس الحداد، لا تخفي سرورها من العودة إلى مهد الطفولة والصبا، وتستذكر في كثير من المرح والسذاجة العديد من معالم حياتها الماضية، دون أن تتكلف الحزن على شقيقها الأكبر الراحل، كعادتها في الصراحة القاطعة...

ولم يستطع المحامي الكهل «أنتويسل» أن يسترسل في تأملاته، فقد جاء «لانسكوم» مرة أخرى، وأعلن للحاضرين أن الغداء قد أعد.

الفصل الثاني

استقر أفراد الأسرة في قاعة المكتبة بعد تناول الطعام وراحوا يشربون القهوة ويتجاذبون أطراف الحديث بعد أن طرحوا عنهم التكلف الذي التزموه أثناء تشييع الجنازة، خصوصاً أنه لم تكن روابط الود قوية بينهم وبين «رتشارد أبرناثي» الراحل حتى يحزنوا لوفاته المفاجئة وهو في الثامنة والستين من عمره..

كان اهتمامهم الآن منصرفا إلى سماع الوصية التي تركها رب الأسرة الراحل، ولهذا تعلقت أنظارهم بالمحامي «أنتويسل»... واستجاب لهم المحامي، إذ قال وهو ينظر إلى ساعته:

- لا بد لي أن ألحق بقطار الساعة الثالثة والنصف إلى «لندن»...

وبدا أن بينهم من يريدون اللحاق بهذا القطار أيضاً...

وقد استطرد المحامي قائلاً:

- أنتم تعرفون أنني منفذ وصية «رتشارد أبرناثي».

وهذه الوصية حتى سنة مضت كانت بسيطة جداً... فإنه أوصى فيها بكل شيء إلى ولده الوحيد «مورتيمر»، فيما عدا بعض هبات معينة... وهنا قالت «كورا»:

- مسكين «مورتيمر»!.. لم أكن أتصور أن يؤدي شلل الأطفال الذي أصيب به إلى وفاته!...

- إن وفاة «مورتيمر»، بهذه الصورة المفاجئة كانت ضربة أليمة لـ«رتشارد»... وقد انقضت شهور طويلة قبل أن يفيق من الصدمة...

وعندما أشرت عليه بأنه من المستحسن تعديل الوصية. . .

وعندئذ قالت «مود ابرناثي» بصوتها العميق:

ـ ما الذي كان يحدث لو أنه لم يترك وصية جديدة؟. . . هل كان الميراث كله يئول إلى شقيقه الوحيد «تيموزي»؟. . .

ولم يشأ المحامي أن يرد على الأسئلة الاعتراضية، ولهذا ترك سؤال «مود» زوجة «تيموزي» بغير جواب، وأردف يقول:

ـ إن «رتشارد» قرر بناء على مشورتي عمل وصية جديدة. . . على أنه رأى قبل ذلك أن يتعرف بصورة أوفى على الجيل الجديد من أبناء الأسرة. . .

فقالت «سوزان» بنت الأخت بضحكتها الرنانة:

ـ إنه اصطادنا متفرقين. . . كان الأول «جورج»، ثم «جريجوري» زوجي وأنا، وبعد ذلك «روزاموند» وزوجها «مايكل»!. . .

ولكن المحامي الكهل تجاوز عن هذه الأحاديث الفرعية، واستطرد يقول بلهجة أقرب إلى البرود:

ـ في نيتي أن أرسل إليكم جميعاً صوراً من الوصية وبتجريدها من الاصطلاحات القضائية فهذا هو ملخصها: بعد هبات صغيرة معينة، ومبلغ مخصص لخادمه العجوز «لانسكوم» لشراء شيء يدر عليه إيراداً سنوياً، فإن الجزء الأكبر من التركة وهو جسيم، يقسم إلى ست حصص متساوية. . . أربع من هذه الحصص يئول بعد خصم كافة الضرائب والرسوم إلى «تيموزي» شقيق «رتشارد» الوحيد المتبقي على قيد الحياة و«جورج كروسفيلد» ابن أخيه، و«سوزان بانكس» بنت أخته الثانية و«روزاموند شان» بنت أخته الثالثة. . . والحصتان المتبقيتان يخصص ريعهما لمسز «هيلين» أرملة أخيه المتوفى «ليو»، وشقيقته الصغرى مسز ـ «كورا لانكنير»، طوال حياتهما. . وبعد وفاتهما يقسم رأسمال الحصتين بين المنتفعين الأربعة الأوائل أو ذريتهما. . .

وهنا قالت «كور لانكنير» بلهجة التقدير الخالص.
- هذا شيء جميل جداً!.. إيراد ثابت!.. كم يبلغ؟..
- لا يمكنني تحديد هذا بالضبط... إن ضريبة التركات ستكود عالية بالطبع و...
- ألا يمكن أن تعطيني فكرة تقريبية؟...
- ربما في حدود مبلغ يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف جنيه سنوياً...
فقالت «كورا»:
- جميل جداً!... سوف أذهب إلى «كابري»!...
وقالت «هيلين ابرناثي» برقة:
- هذا كرم من «رتشارد»... إنني أسجل بالتقدير مودته نحوي...
وعادت «كورا» تقول:
- ومع ذلك، فقد حرص الجميع على كتمان ظروف الوفاة... أليس كذلك؟
وعندئذ حملق فيها جميع الحاضرين حتى لاح عليها الارتباك، وقالت بسرعة:
- أعتقد أنكم جميعاً على حق... أعني أنه لن تكون هناك فائدة لأحد من إذاعة ظروف الوفاة... فالمسألة غير سارة بالنسبة للجميع... ولا بد أن يبقى الأمر محصوراً في نطاق الأسرة...
والواقع أن هذا التلميح جعل جميع الأنظار المتجهة إلى «كورا» تزداد حيرة، ولم يتمالك المحامي إلاّ أن قال لها:
- الحقيقة يا «كورا» أنني إلاّ أفهم ماذا تقصدين بهذا الكلام!..
فما كان من «كورا» إلا أن راحت تدير نظراتها في وجوه أفراد الأسرة بدهشة ظاهرة، ثم قالت في النهاية وقد أمالت رأسها إلى الجانب كما يفعل الطير:
- إن «رتشارد» مات مقتولاً!... أليس كذلك؟...

الفصل الثالث

- ١ -

جلس المحامي «أنتويسل» في ركن مركبة الدرجة الأولى في القطار المتجه إلى «لندن» وهو مشغول البال بالكلمات الغريبة التي تفوهت بها «كورا لانكنير»... نعم إن «كورا» كانت دائماً امرأة متهورة وغير متزنة في أقوالها وأفعالها... وكثيراً ما ضاقت بها الأسرة في صغرها بسبب ما كانت تسببه تصريحاتها الطائشة من حرج للأسرة.. لكن ما الذي دفعها إلى التفوه بهذا التصريح المروع؟...

«إن «رتشارد» مات مقتولاً... أليس كذلك؟»

- ٢ -

في إحدى مركبات الدرجة الثالثة بنفس القطار المتجه إلى «لندن»، جلست «سوزان» ابنة أخت الفقيد وزوجها «جريجوري بانكس» مساعد الصيدلي، وكان يقول لها:

ـ لا بد أن خالتك «كورا» مختلة العقل تماماً!..

فقالت «سوزان» وهي شاردة الذهن:

ـ خالتي «كورا»؟ آه... نعم... أظن أنها كانت دائماً ساذجة أو شيئاً من هذا القبيل...

ولكن «جورج كروسفيلد» ابن أخت الفقيد الذي كان جالساً في مواجهة الزوجين قال بحدة:

- الحقيقة أنه لا بد من الحيلولة دونها والطواف هنا وهناك تردد شيئاً كهذا... إن كلامها الغريب قد يثير تساؤل الناس وفضولهم!...

أما «روزاموند شان» بنت الأخت الأخرى فكانت منهمكة في صبغ شفتيها، ولكن هذا لم يمنعها من أن تقول بدورها:

- لا أظن أنه يجب الاهتمام بما يصدر عن هذه الخالة المهوسة... انظروا إلى غرابة ملابسها بدعوى أنها من أهل الفن، وما هي إلاّ أضحوكة!...

فقال «جورج» مرة أخرى:

- على كل حال لا بد من منعها من الكلام...

فقالت «روزاموند» ضاحكة وهي تضع أصبع أحمر الشفاه جانباً:

- حسنٌ يا عزيزي... امنعها إذن!...

فقال زوجها «مايكل شان» الممثل:

- أعتقد أن «جورج» على حق... ما أسهل أن يبدأ الناس في القيل والقال بعد أقوال «كورا» الغريبة...

فقالت «روزاموند» وقد زادت ابتسامتها استخفافاً:

- إذا صح أن خالي «رتشارد» مات قتيلاً، فمن تظنون أن يكون القاتل؟...

ولما لم يجب أحد راحت ترد بنفسها على السؤال قائلة بلهجة الاستخفاف التي التزمتها:

- إن موته كان مريحاً جداً لنا جميعاً... بالنسبة لنا مثلاً، فإن «مايكل» كان يعاني من أزمة مالية في عمله المسرحي، وبوسعه الآن أن يقوم بتمويل الدور الذي يناسبه!...

على أن أحداً لم يستمع لكلماتها العابثة، فقد أخلد كل منهم إلى تأملاته الخاصة...

- ٣ -

أخذت «مود ابرناثي» تغير ملابسها استعداداً للعشاء (إذ قررت أن تبيت ليلتها في قصر «أندربي») وهي تفكر فيما لو كان الواجب يحتم عليها أن تبقى فترة أخرى لمساعدة «هيلين» في فحص أوراق الفقيد ومتعلقاته... لكنها رأت بعد التفكير أنه لا لزوم لهذه العملية، لأن الأوراق الهامة قد انتقلت إلى حوزة المحامي «أنتويسل»، ولأنه يجب عليها أن تبادر بالعودة إلى زوجها تيموزي» المريض قبل أن يتملكه الضجر والسخط...

- ٤ -

جلست «هيلين» أرملة شقيق الفقيد بجانب المدفأة في قاعة الجلوس الخضراء تنتظر حضور «مود» لتناول العشاء...

تذكرت أيامها الحلوة في هذا القصر الكبير عندما كانت تقيم فيه مع زوجها في رحاب الأسرة... أما الآن فإن القصر بات موحشاً بعد أن خلا من الأهل والأحباب...

ولم تتمالك «هيلين» أن قالت لنفسها:

- لكن ربما لم تكن «كورا» من أهل النفاق مثلنا جميعاً!..

وألحت على ذهنها صورة «كورا» عندما فاهت بعبارتها المروعة: «لكن «رتشارد» مات قتيلاً... أليس كذلك؟» والوجوه كلها تحدق إليها باستغراب...

وبوضوح هذه الصورة في خيال «هيلين» تذكرت شيئاً جعلها تقطب وجهها... هناك شيء غير طبيعي في تلك الصورة...

أهو شخص في تلك الصورة؟

أهو شيء في تلك الصورة؟

هل كان تعبيراً معيناً ارتسم على أحد الوجوه؟..

هل كان شيئاً ظهر لها وقتها وهو في غير موضعه، وعلى غير طبيعته؟...

لم تدر «هيلين» على وجه اليقين...

ومع ذلك... كان في تلك الصورة شيء ما... خاطىء!..

الفصل الرابع

- ١ -

أمضى المحامي «أنتويسل» ليلة قلقة... وقد بلغ من شدة تعبه وإعيائه أنه لم يغادر الفراش في الصباح...

لقد استقر عزمه على أن يذهب إلى قرية «لتشت سانت ماري» لمقابلة «كورا» بدعوى أنه يريد استكمال بعض التوقيعات لأغراض تتعلق بإجراءات تنفيذ الوصية - ثم يحاول استدراجها لمعرفة ما وراء عبارتها البلهاء الغريبة...

وهكذا قضى نهاره في الراحة وقراءة الصحف...

ثم دق جرس تليفونه حوالي الساعة السادسة إلاالربع مساء...

كان المتكلم هو «جيمس باروت» شريكه في مكتب المحاماة، وقد قال له:

- إسمع يا «أنتويسل»... إن البوليس اتصل بي تواً تليفونياً من جهة يسمونها «لتشت سانت ماري»...

- «لتشت سانت ماري»؟...

- نعم... والمسألة تتعلق بسيدة تدعى مسز «كورا لانكنيز».. أليست هي إحدى المنتفعات في تركة «رتشارد ابرناثي»؟

- بلى... طبعاً.. إنني رأيتها أمس في الجنازة...

- آه!.. هل كانت في الجنازة؟..

- نعم... ماذا عنها؟

فقال «باروت» بلهجة الأسف:

- حسنٌ... المسألة في غاية الغرابة... إنها وجدت... مقتولة...

- مقتولة!!؟..

- نعم.. نعم... يظهر أنّ هذه بيانات لا شك فيها...

- وكيف توصل البوليس إلينا؟

- عن طريق مرافقة لها تدعى.. مس «جيلكريست».. إن البوليس سأل عن اسم أحد أقاربها أو محاميها... والظاهر أن المدعوة «جيلكريست» هذه لم تكن تعرف عناوين أقاربها، ولكنها كانت تعرف اسم المحامي... وهكذا تم اتصال البوليس بنا..

- وكيف تأكد البوليس من مسألة القتل؟...

- الظاهر أن هذه مسألة غير مشكوك فيها... فقد استخدمت بلطة... وهي جريمة من النوع العنيف...

- هل كان القاتل يقصد السرقة؟

- هذه هي الفكرة العامة... فقد وجدت نافذة المطبخ مهشمة الزجاج، وبعض الحلي مسروقة لكن البوليس يظن أن ملابسات الحادث غريبة...

متى وقع الحادث؟

- في وقت ما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم...

- وأين كانت المرافقة؟

- كانت تقوم بتغيير بعض الكتب في بلدة «ريدنج».. وقد عادت حوالي الساعة الخامسة ووجدت مسز «لانكنير» ميتة.. والبوليس يريد أن يعرف إن كانت لدينا فكرة عمن يحتمل أن يكون الجاني...

- ٢ -

وضع المحامي «أنتويسل» أمام مفتش البوليس «مورتن» كافة الحقائق والمعلومات المتعلقة بـ«كورا لانكنير»: نشأتها، وزواجها، وترملها، وحالتها المالية، وأقاربها... ثم اختتم قائلاً:

- إن مستر «تيموزي أبرناثي» هو شقيقها الوحيد المتبقي على قيد الحياة، وهو أقرب ذوي نسبها بالطبع، ولكنه مريض ولا يفارق بيته.. وقد أعطاني توكيلا للتصرف في كافة المعاملات نيابة عنه...

فأومأ مفتش البوليس تقديراً لهذه المعلومات والمعاونة الصادقة من جانب المحامي، وقال:

- لقد فهمت من المرافقة مس «جيلكريست» أن مسز «لانكنير» سافرت إلى شمال «انجلترا» لحضور جنازة أخيها الأكبر، في اليوم السابق لوفاتها؟

- هذا صحيح... وكنت حاضراً بنفسي...

- ألم تلاحظ في أحوالها وتصرفاتها شيئاً غير عادي؟

- أرجو أن تزيدني إيضاحاً يا سيدي المفتش...

- الحقيقة أن القضية فيها ملابسات غريبة... لنقل مثلاً إن مجهولاً راقب المرأة المدعوة «جيلكريست» وهي تغادر الفيللا الصغيرة حوالي الساعة الثانية وتذهب إلى القرية ومحطة الأتوبيس.. ثم يأخذ هذا المجهول البلطة الموجودة قرب حظيرة الخشب ويهشم نافذة المطبخ ويدخل الفيللا ويصعد السلم ويعتدي على مسز «لانكنير» بالبلطة.. وهو اعتداء وحشي لأنه انهال عليها بست أو ثماني ضربات... وبعد ذلك يفتح هذا المجهول الأدراج ويستولي على بعض الحلي القليلة التي لا تزيد قيمتها على عشرة جنيهات، ثم يبادر بالهرب والاختفاء..

- هل كانت في فراشها وقت الجريمة؟

- نعم... والظاهر أنها عادت متأخرة من الشمال في الليلة

السابقة، وكانت منهكة ومضطربة الأعصاب... لقد فهمت أنها ورثت شيئاً في تركة؟

- نعم...

- إنها نامت نوماً سيئاً واستيقظت وهي تشعر بصداع عنيف.. فتناولت عدة أقداح من الشاي مع بعض العقاقير المخدرة لتسكين الصداع الشديد، ثم طلبت من مس «جيلكريست» ألاّ تزعجها حتى موعد الغداء.. ولم يؤد هذا إلى تحسن في حالتها، فتناولت قرصين منومين... وبعدئذ أرسلت مس «جيلكريست» إلى بلدة «ريدنج» بالأتوبيس لتغير بعض الكتب من المكتبة العامة... وكانت ولا شك في حالة نعاس، إن لم تكن نائمة، عندما تسلل ذلك المجهول إلى الفيللا.. وكان بإمكانه أن يحصل على ما يريد بالتهديد، أو كان بوسعه تكميمها... أما حمله البلطة عمداً من خارج الفيللا، فهذا ما يبدو شيئاً مفرطاً في الغرابة..

فقال المحامي:

- ربما قصد تهديدها فقط... وعندما أبدت بعض المقاومة...

- إن الفحص الطبي أثبت عدم وجود أية مقاومة... ويبدو أنها كانت مستلقية على جانبها في نوم هادىء عندما وقع الاعتداء عليها...

فقال «أنتويسل» محاولاً تعليل الحادث:

- إن الإنسان يسمع أحياناً عن وقوع هذه الجرائم الوحشية التي لا دافع إليها غير حب العنف...

- هذا شيء في دائرة الاحتمال... وبالطبع فهناك رقابة دائمة حول المكان، ونحن مطمئنون إلى الإجراءات المتخذة.. ولا تنسَ أن الفيللا تقع في طرف حارة خارج القرية، تحيط بها شبكة من الحواري المتداخلة... وقد كان الجو صحواً ولم يكن هناك مطر منذ أيام، وهكذا لم نعثر على آثار عجلات سيارة يمكن أن نسترشد بها، وذلك

في حالة قدوم إحدى السيارات. . .
ـ هل تظن أن أحداً ما جاء بسيارة؟
ـ لا أدري. . . كل ما أقوله هو أن هناك ظروفاً غريبة تحيط بالقضية. . . منها مثلاً أن بعض الأساور والمشابك والعقود التي أخذت من علبة حلي القتيلة. . . قد عثر عليها ملقاة خارج الفيللا تحت إحدى الشجيرات. . .
ـ غريب!. . . ربما شعر المعتدي بالخوف من جريمته، فألقاها هناك. . .
ـ هذا ممكن. . . لكن كان يمكنه تركها في الغرفة. . . وعلى كل حال لا يستبعد أن الذعر تملكه فيما بين غرفة النوم والباب الخارجي. .
فقال المحامي بهدوء:
ـ أو ربما أخذت الحلي بقصد التضليل، كما تلمح أنت باستنتاجاتك. . .
ـ نعم. . . هناك احتمالات كثيرة. . . وبالطبع من الجائز أن تكون المدعوة «جيلكريست» هي الفاعلة. . . وإن كان هذا الاحتمال لا يبدو قوياً. . . فقد كانت العلاقات بين المرأتين ودية جداً. . .
وتوقف مفتش البوليس برهة ثم استطرد يقول:
ـ المفهوم مما سمعته منك أنه لا يوجد أحد يمكن أن يستفيد من موت مسز «لانكنير»؟
فأجاب المحامي: أنا لم أقل هذا بالضبط. .
فتطلع إليه المفتش بحدة قائلاً:
ـ فهمت من كلامك أن مصدر إيراد مسز «لانكنير» هو مرتب قدره لها أخوها، وأنها فيما تعلم أنت ليست لها ممتلكات أو إيرادات خاصة.
ـ هذا هو الواقع. . إن زوجها مات مفلساً، وحسب ما عرفته عن أحوالها عندما كانت فتاة وفيما بعد ذلك، فسيكون من دواعي

الدهشة أن أعرف أنها ادخرت أو جمعت أية ثروة.

ـ وقد بدا من تحرياتنا أن الفيللا ذاتها مستأجرة وليست ملكاً، وأثاثا يسير لا قيمة له، وليس هناك سوى مجموعة صور فنية لا يفيد منها أي إنسان كثيراً ـ هذا بفرض أنها تركت وصية..

ـ لا أعرف شيئاً عن وجود وصية... فإنني لم أرها منذ سنوات طويلة..

ـ ومسألة الإيراد الذي آل إليها من أخيها؟

هل كان يمكنها التصرف فيه بإرادتها!

ـ كلا... لم يكن لها أن تتصرف في رأسمال الريع... وبعد أن توفيت الآن، فإنه سوف يقسم بين المستفيدين الخمسة الآخرين من وصية «رتشارد أبرنائي»، بصورة آلية..

فقال المفتش وقد بدت عليه دلائل خيبة الأمل:

ـ كنت أظن أننا سنتوصل إلى شيء من هذه الناحية.. ويظهر أنه لا يوجد دافع للقتل هنا... والأغلب أن القاتل شخص مجنون أو من هواة أعمال العنف، وهم كثيرون هذه الأيام... وبعد أن ارتكب جريمته خانته أعصابه وألقى بالحلي ثم لاذ بالهرب... نعم... لا بد أن الجريمة تمت هكذا... اللهم إلاّ إذا كان الفاعل هو مس «جيلكريست» ذات المظهر المحترم، ولا بد لي أن أقول إن هذا شيء بعيد الاحتمال..

ـ متى اكتشفت مس «جيلكريست» الجثة؟

لم تكتشفها قبل الخامسة تقريباً.. إنها عادت من بلدة «ريدنج» في أتوبيس الساعة ٤,٥٠ تقريباً.. ودخلت إلى الفيللا من الباب الأمامي وذهبت إلى المطبخ ووضعت إناء الشاي على النار... ولم تسمع صوتاً من ناحية غرفة مسز «لانكنير» ولكنها قدرت أنها كانت لا تزال نائمة.. وبعد ذلك لمحت نافذة المطبخ، ورأت الزجاج مهشماً متناثراً على الأرض... وحتى عند ذلك فقد خطر لها وقتها أنه ربما

كان من فعل صبي قذف حجراً أو نبلة.. فصعدت السلم وأطلت بحذر إلى غرفة مسز «لانكنير» لكي ترى إن كانت نائمة أو إنها تريد الشاي... وبالطبع فإنها صرخت واندفعت إلى الخارج لتستنجد بأقرب جار لها.. . إن قصتها تبدو متماسكة تماماً، ولم يوجد أي أثر لدم في غرفتها الخاصة أو حمامها أو فوق ملابسها... كلا... لست أظن أن مس «جيلكريست» لها أي ضلع في هذه الجريمة... وقد جاء الطبيب في الخامسة والنصف... وحدد وقت الوفاة بما لا يتجاوز الرابعة والنصف... ورجح أنه أقرب إلى الساعة الثانية... . وهكذا يبدو وكأن الفاعل كان يكمن حول المكان منتظراً خروج مس «جيلكريست»... هل تنوي أن تقابل مس «جيلكريست»؟

- إنني كنت أفكر في هذا فعلاً..

- يسرني أن تفعل... إنها أخبرتنا بكل شيء فيما أعتقد... لكن أحياناً يمكن التقاط بعض البيانات من الأحاديث الخاصة..

فوعد المحامي بإبلاغه بكل ما يقف عليه... وانصرف على الفور وهو يفكر في تلك العبارات الغريبة التي فاهت بها «كورا» عن القتل في اليوم السابق لمقتلها هي، عندما قالت: «إن «رتشارد» مات قتيلاً... أليس كذلك؟».

* * *

كانت مس «جيلكريست» امرأة عادية باهتة الشخصية وخط الشيب شعرها بعد أن ناهزت الخمسين من عمرها..

وقد استقبلت المحامي «أنتويسل» بحرارة قائلة:

- أنا مسرورة جداً بحضورك.. إنني لا أعرف إلاّ القليل عن أسرة «لانكنير»، وبالطبع لم يكن لي من قبل أية خبرة بجرائم القتل... ولهذا كان الموقف فظيعاً بالنسبة إلي..

كان المحامي مقتنعاً بهذا الكلام لما رآه من بساطتها وصدق لهجتها... وقد تبعها إلى غرفة الجلوس وهو يشم رائحة نفاذة للزيت

المستخدم في الرسم. والواقع أن الصور الزيتية كانت منتشرة في أرجاء الفيللا، وإن كان أغلبها قديماً قذراً.. وقد قالت له مس «جيلكريست» تفسيراً لهذا:

- إن مسز «لانكنير» اعتادت شراء هذه الصور في المزادات، فقد كانت المسكينة كثيرة الاهتمام بها... إن الصور في المزادات رخيصة جداً، ولم تكن تدفع في أية صورة أكثر من جنيه، وأحياناً بضعة شلنات.

ولما رأت المحامي ينظر بارتياب إلى اللوحات التي بدت له تافهة رغم أنه لم يكن خبيراً في الفن، أردفت تقول:

- أنا شخصياً لا أعرف الكثير عن الفن، كان أبي رساماً، ولم يكن رساماً ناجحاً... لكنني اعتدت في صغري عمل بعض الرسوم بالألوان المائية، وكنت أسمع كلاماً كثيراً عن الرسم بالألوان، ولهذا كانت مسز «لانكنير» مسرورة بوجود رفيقة لها تفهم منها كلما تحدثت معها عن الرسم...! كانت تهتم كثيراً بالفن!

- أظن أنك عشت مع مسز «لانكنير» سنوات؟

- ثلاث سنوات ونصف.

- هل كنت مرافقة و... كنت تباشرين أعمال الفيللا؟

فأجابت مس «جيلكريست» وقد احمرّ وجهها قليلاً:

- نعم.. إنني كنت أقوم بالطهي، مع بعض الأعمال الخفيفة... أما أعمال الخدمة فكانت تقوم بها «بانتر» من أهل القرية، مرتين أسبوعياً... ولعلك ترى يا مستر «أنتويسل» أنني لم أفكر أن أكون خادمة بأي حال... فقد كان لي محل لشراب الشاي اسمه «شجرة الصفصّاف»، وكان محلاً صغيراً أنيقاً أقمته بما ورثته عن أبي. ولكنني أفلست بسبب ظروف الحرب واضطررت إلى بيعه، وكان لا بد أن أبحث عن عمل مناسب، وبعد محاولات فاشلة وفقت إلى مسز «لانكنير» التي ارتاحت إلى وجودي معها، كما راقني أن زوجها

كان من أهل الفن..

واختتمت مس «جيلكريست» قصتها وهي لاهثة الأنفاس قائلة:

ـ لكن لا يصح أن أكثر من الحديث عن نفسي... إن البوليس قدر ظروفي وكان ودوداً نحوي... وقد جاء المفتش «مورتن» من إدارة البوليس العامة وتفهم موقفي تماماً... بل إنه عرض علي أن أمضي ليلتي عند صديقتي التي تقيم في أول الحارة، لكنني قلت (لا)، وشعرت أن من واجبي أن أبقى هنا مع كافة متعلقات مسز «لانكنير» في الفيللا.. إنهم نقلوا الجثة بالطبع، وأغلقوا غرفتها، وقد أخبرني المفتش أنه تقرر وجود شرطي في المطبخ طول الليل بسبب تهشم زجاج النافذة... فقلت للمفتش إنني أشعر بأني سأكون بخير في غرفتي، وإن كنت أعترف لك يا مستر «أنتويسل» أنني دعمت باب الغرفة من الداخل بدولاب الملابس..

فسارع المحامي يشجعها قائلاً:

كل ما أريده هو أن أعرف ما يمكنك أن تذكريه لي عن مسز «لانكنير» في الفترة السابقة للفاجعة..

ـ هذا طبيعي يا سيدي... ويمكنك أن تؤكد لأقاربها أنه بصرف النظر عن متاعبها في تلك الليلة بعد عودتها من الجنازة طبقاً لما حدثت به مفتش البوليس، فإنها كانت سعيدة عموماً، وكانت تتطلع إلى المستقبل في ثقة وتلهف..

فقال المحامي وهو يختار أسئلته بإمعان: ألم تذكر أحداً من أقاربها على وجه التحديد؟

ـ لا... لا أظن..

ـ ألم تتكلم بأي حال عن وفاة أخيها؟ عن ... السبب مثلاً؟ عن أي شيء من هذا القبيل؟..

ـ كلا... إنه كان مريضاً بصفة دائمة، وإن كنت أعترف بأن وفاته المفاجئة أدهشتني... فقد كان يبدو في صحة جيدة.

فسارع «أنتويسل» يقول:
- هل رأيته... متى؟
- عندما جاء إلى هنا لزيارة مسز «لانكنير».. وكان هذا منذ ثلاثة أسابيع..
- وهل بقي هنا فترة؟
- لا... جاء للغداء فقط... كانت زيارته مفاجئة، ولم تكن مسز «لانكنير» تتوقعها.. وأظن أنه كان هناك خلاف عائلي... فإنها لم تره منذ سنوات، على ما أخبرتني..
- نعم... هو ذلك..
- إن الزيارة أثرت في نفسها كثيراً.. ربما لأن أخاها جاء لزيارتها... وربما لما رأت من شدة مرضه..
- هل كانت تعرف أنه مريض؟
- نعم.. إنني أتذكر هذا جيداً... والحقيقة أنني كنت أسائل نفسي إن كان مستر «أبرناثي» يعاني من عدم اتزان عقله... كان لي عمة...

ولكن المحامي تخلص برفق من قصة عمتها، قائلاً:
- هل قالت مسز «لانكنير» شيئاً جعلك تظنين أنه يعاني من خلل في عقله؟
- نعم... إن مسز «لانكنير» قالت شيئاً مثل: «مسكين «رتشار».. إن موت ابنه «مورتيمر» جعله يشيخ كثيراً... إنه يبدو أقرب إلى الخرف... إن أوهامه كثرت عن تعرضه للاضطهاد وعن وجود من يعمل على تسميمه..».

أثار هذا الكلام أشد القلق في نفس المحامي. بصرف النظر عن ثرثرة مس «جيلكريست»...

وكان المحامي موقناً أن صديقه الحميم «رتشار» بعيد عن كل أسباب الخرف والهذيان. . . فقد ظل متمتعاً بكامل صفاته العقلية إلى آخر حياته. . . !

وانسحب المحامي وهو يتنفس الصعداء، لكي يقابل مديراً في البنك، ويجري مشاورات أخرى مع المفتش «مورتن».

الفصل الخامس

- ١ -

مساء هذا اليوم تلقى المحامي «أنتويسل» وهو في بيته مكالمة تليفونية شخصية عاجلة من مقاطعة «يوركشير»، وكان المتكلم «مود» زوجة «تيموزي ابرناثي» شقيق «رتشارد» الراحل..

قالت له وصوتها يشف عن القلق عبر أسلاك التليفون:

- الحمدلله أني تمكنت من الاتصال بك أخيراً! إن «تيموزي» في حالة فظيعة... إن الخبر المنشور عن «كورا» قد أزعجه بصورة شنيعة...

- هذا مفهوم.

- إنني في قلق شديد من أجل «تيموزي».. إنني أجبرته على ملازمة الفراش، ولكنه يصر على إقناعك بضرورة الحضور إلى هنا لمقابلته... إنه يريد أن يعرف أشياء كثيرة: هل سيكون هناك تحقيق رسمي، ومن يجب أن يحضره! ومتى يمكن تشييع الجنازة بعد انتهاء مثل هذا التحقيق، وهل أعربت «كورا» عن أية رغبة في أن تدفن جثتها، وهل تركت وصية ما؟

- نعم... هناك وصية.. وقد أوصت بأن يكون «تيموزي» هو منفذ الوصية.

- لكنني أخشى ألاَّ يقوى «تيموزي» على احتمال شيء كهذا..

ـ إن مكتبنا سوف يتكفل بكافة الإجراءات.. أما الوصية فهي بسيطة جداً.. إنها تركت الصور التي رسمتها مع مشبك مرصع إلى مرافقتها مس «جيلكريست»، والبقية لـ«سوزان»..

ـ لـ«سوزان»؟ ولماذا «سوزان» بالذات؟ لا أظن أنها رأت «سوزان» في حياتها... منذ أن كانت طفلة على أي حال!.

ـ أظن أنها فعلت ذلك بسبب ما قيل من أن «سوزان» تزوجت زواجاً لم يحز رضاء العائلة.

فقالت «مود» ساخرة:

ـ حتى «جريجوري بانكس» زوج «سوزان» أفضل ألف مرة من «بيير لانكنير»!

وصمتت برهة، ثم أردفت تسأل:

ـ هل معنى هذا أن «سوزان» سوف تنال الإيراد الذي تركه «رتشارد» لـ«كورا»؟

ـ كلا... إن رأسمال هذا الإيراد سوف يقسم طبقاً لما جاء في وصية «رتشارد».. إن «كورا» المسكينة لم تترك سوى مئات قليلة من الجنيهات وأثاث الفيلا... وبعد خصم الديون وبيع الأثاث فلا أظن أن المتبقي سيزيد عن خمسمائة جنيه..

واستطرد المحامي يقول:

ـ سوف يكون هناك تحقيق رسمي بالطبع، وقد حدد له يوم الخميس القادم... وإذا وافق «تيموزي» فسوف ينيب مكتبنا المحامي الشاب «لويد» للحضور نيابة عن الأسرة.. أنا آسف إذا كان سيترتب على هذا بعض التشهير.

ـ إن الموقف كله يبدو شاذاً... ألا يمكنك الحضور عندنا يا مستر «أنتويسل»؟

لزم المحامي الصمت برهة... إن الدعوة لم تكن غير مرغوبة ولهذا قال في النهاية: سأحاول..

- ٢ -

رحب «جورج كروسفيلد» بالمحامي «أنتويسل» بحرارة ولكن في شيء من الدهشة. فقال المحامي يفسر سبب زيارته للشاب:

- إنني جئت تواً من قرية «لتشت سانت ماري»

- إذن فهي خالتي «كورا» حقاً؟ إنني قرأت الحادث في الجرائد، ولكني لم أصدق وظننت أنه اسم مشابه.

هل تفكر في اتهام شخص معين؟

فرد عليه المحامي قائلاً:

- لا... أبداً..

وتوقف المحامي برهة... ثم أردف قائلاً:

سوف تمضي فترة قبل إتمام تسوية التركة...

هل من المناسب أن تحصل على سلفة مقدماً؟

الحقيقة أنني كنت على وشك أن أثير هذه النقطة... والواقع أنني كنت في البنك اليوم وطلبت إليهم الاتصال بك لتسوية تجاوز في الرصيد..

ثم استطرد وهو يضحك ضحكة تشف عن القلق:

- الحقيقة أنني لم أكن موفقاً في استثماراتي في الفترة الأخيرة... إنني جازفت في بعض المضاربات،

وفجأة قال المحامي:

- إنني حاولت الاتصال بك في اليوم التالي للجنازة، لكن يظهر أنك لم تكن في المكتب..

- أحقاً؟ إنهم لم يخبروني... إنني ذهبت إلى ميدان سباق الخيل في «هورست بارك»... وراهنت هناك مرتين... ومع أن المكسب لم يزد عن خمسين جنيهاً، إلاَّ أنه كان لا بأس به... فيه نوع من المساعدة..

صدقت.. ثم سوف يجيء إليك مبلغ إضافي نتيجة لوفاة خالتك

«كورا»... وعلى فكرة... هل تذكر اسم الحصانين الرابحين؟..

- دعني أتذكر... آه!.. هما «جايمارك»، و«ضفدعة».. نعم! لن أنسى الاسمين بحال!..

فضحك المحامي الكهل ضحكته القصيرة الجافة، واستأذن في الانصراف..

- ٣ -

قالت «روزاموند» وهي تستقبل المحامي دون حماسة ظاهرة:

- إننا نرحب بك طبعاً، لكن الوقت لا يزال مبكراً وراحت تتثاءب بشدة... فقال المحامي:

- الساعة الآن الحادية عشرة صباحاً.

فتثاءبت «روزاموند» مرة ثانية وقالت بلهجة الاعتذار:

- كانت عندنا حفلة ساهرة في الليلة الماضية... وشربنا كثيراً.. ولا يزال «مايكل» يشعر بتعب فظيع.

وظهر زوجها «مايكل شان» الممثل الوسيم... وكان يرتدي روباً أنيقاً... ولم يفت المحامي أن يرى زجاجات الشراب والكئوس وأعقاب السجائر وهي متناثرة هنا وهناك.

وقالت «روزاموند» وهي تنظر إلى زوجها الوسيم بافتتان:

- إنه لحظ رائع أن يترك لنا خالي «رتشارد» تلك الثروة في هذا الوقت بالذات!...

ولاحظ المحامي نظرة الاستياء التي بدت في وجه «مايكل»، ولكن «روزاموند» استطردت تقول:

- وذلك لأن أمامنا الآن فرصة نادرة لاختيار المسرحية التي نريدها، وفيها دور رائع لـ«مايكل»، ودور صغير لي... إنها تدور حول واحد من أولئك المجرمين الشبان الذين هم في داخلهم قديسون... إنها مملوءة بأحدث الأفكار العصرية.

ولم يشأ المحامي أن يعقب على هذا الهراء بينما قال الزوج والاستياء ظاهر في وجهه:

ـ إن مستر «أنتويسل» لا يريد أن يسمع اسطواناتك المتكررة يا «روزاموند»... اسكتي لحظة ودعيه يشرح لنا الغرض من زيارته...

فقال المحامي:

ـ هناك بعض مسائل تحتاج إلى تسوية... إنني وصلت تواً من قرية «لتشت سانت ماري»...

ـ إذن فهي خالتي «كورا» التي قتلت؟ إننا قرأنا الخبر في الجرائد... مسكينة خالتي «كورا»! إنني عندما نظرت إليها في الجنازة ذلك اليوم ورأيت ما هي عليه من البلاهة، فضلت أن تكون في عداد الأموات...

ثم هزت رأسها واستطردت قائلة:

ـ جريمتا قتل واحدة بعد الأخرى!.. هذا شيء كثير جداً!...

ـ لا تكوني بلهاء يا «روزاموند»... إن خالك «رتشارد» لم يمت مقتولاً...

وهنا تدخل المحامي قائلاً:

ـ إنكما عدتما إلى «لندن» بعد الجنازة... أليس كذلك؟.

ـ بلى... عدنا في نفس القطار الذي كنت فيه أنت.

ـ بالطبع.. بالطبع.. إني سألت هذا السؤال لأنني حاولت الاتصال بكما تليفونياً في اليوم التالي... حاولت هذا مرات في الواقع... ولكنني لم أجد رداً.

ـ أنا في شدة الأسف... ماذا كنا نفعل في ذلك اليوم؟ إننا كنا في المنزل هنا حتى حوالي الظهر أليس كذلك؟ ثم خرجت أنت يا «مايكل» لمحاولة الاتصال بالمخرج المسرحي «روزنهايم»، وبعدها ذهبت لتناول الغداء مع «أوسكار»... أما أنا فخرجت لشراء بعض الملابس ولم أتمكن من لقاء صديقتي «جانيت» كما تواعدنا من قبل..

نعم.. إنني أمضيت ساعات طيبة في مشاهدة محلات الأزياء... وبعد ذلك تناولنا العشاء سوياً.. ثم عدنا إلى هنا حوالي العاشرة مساء على ما أظن.

فقال «مايكل» وهو ينظر ساهماً إلى المحامي:

ـ حول هذا الوقت... ما الذي كنت تريده من الاتصال بنا يا سيدي؟

لإجراءات متعلقة بالتركة... وأوراق تحتاج إلى إمضاءات.

فقالت «روزاموند»:

ـ هل سنحصل على الميراث الآن، أم ستمضي أجيال؟

فأجاب المحامي:

ـ أخشى أن أقول إن الإجراءات القضائية تتأخر بعض الشيء...

فبدا الانزعاج على وجه «روزاموند» وقالت:

ـ لكن ألا يمكننا الحصول على سلفة مقدماً؟ إن «مايكل» قال إن هذا ممكن... الحقيقة أن هذه مسألة بالغة الأهمية، بسبب المسرحية.

فقال المحامي:

ـ من السهل إعطاؤكم بعض المال كسلفة...

ـ ٤ ـ

لم تكن «سوزان بانكس» في مثل ملاحة بنت خالتها «روزاموند»... ولكنها كانت ذات شخصية قوية استهوت المحامي «أنتويسل» وهو جالس يستمع إلى حديثها المنفعل عن خالتها... وجلس عن كثب زوجها «جريجوري بانكس» الضئيل الجسم منكمشاً على نفسه باهت الشخصية حتى لم يتمالك المحامي أن عجب من أمرها كيف أصرت على الزواج برجل كهذا رغم معارضة الأسرة، وما الذي جذبها إليه إلّا أن يكون غموض المرأة وطبيعتها المحيرة فيما

يختص بمن تميل إليهم من الرجال.

كانت «سوزان» تندد بأمثال هذه الجرائم الوحشية وتحمل على البوليس حملة شعواء رغم دفاع «أنتويسل»... وقد قالت أخيراً:

- ما رأيك في مرافقة «كورا»؟ ألم يكن لديها دافع القتل؟ هل تركت لها «كورا» شيئاً؟

- مجرد مشبك مرصع لا يساوي كثيراً، وبعض لوحات مرسومة عن قرى الصيادين ليست لها سوى قيمة تذكارية.

- لا بد أن يكون هناك دافع للقتل، اللهم إلاَّ إذا كان القاتل مخبولاً...

فقال المحامي ضاحكاً:

- إن الشخص الوحيد الذي كان عنده دافع للقتل هو أنت يا عزيزتي «سوزان»...

.ولأول مرة تحرك «جريجوري بانكس» وتكلم كأنما صحا من نوم، فقد لمعت عيناه فجأة بضوء كريه وهو يقول:

- ما هذا الكلام؟ ما علاقة «سوزان» بالحادث؟ ماذا تعني بمثل هذا الكلام؟

فقال المحامي: الواقع... إن «كورا» أوصت بتركتها لك يا «سوزان»... ولكن بالنسبة لسيدة ترث آلاف الجنيهات، فإن إضافة بضع مئات من الجنيهات إليها لا يمكن أن تمثل دافعاً لارتكاب جريمة...

فقالت «سوزان» بدهشة:

- هل تركت أموالها لي؟ يا للغرابة! إنها لم تكن تعرفني!... لماذا فعلت هذا؟

- أظن أنها سمعت إشاعات عن قيام مصاعب بخصوص... زواجك... ولما كانت هي قد صادفت مثل هذه المصاعب عند زواجها، فأعتقد أن شعورها كان متماثلاً.

ولكن ما مشروعاتك للمستقبل؟

- إنني أفكر في ابتياع محل معين بشارع «كارديجان»... أظن أنه يمكنك تقديم سلفة لي... فلا بد لي من دفع عربون.

فقال المحامي: - هذا ممكن.. إنني اتصلت بكم تليفونياً في اليوم التالي للجنازة، ولكنني لم أجد أي رد... فقد خطر لي أنكما ربما تحتاجان إلى سلفة... واعتقدت أنكما غادرتما «لندن».

فقالت «سوزان» بسرعة: - آه!. لا!. إننا كنا هنا طول اليوم.. ولم نخرج على الإطلاق.

وقال «جريجوري» برقة: - أظن يا «سوزان» أن تليفوننا حدث به عطل في ذلك اليوم..

وفجأة قالت «سوزان»:

- كيف عرفت خالتي «كورا» بأمر زواجنا؟ إنه عقد في مكتب السجل المدني، ولم نبلغ أحداً إلاّ فيما بعد.

- أظن أن «رتشارد» ربما أخبرها... إنها عملت وصيتها منذ حوالي ثلاثة أسابيع! وكانت من قبل لصالح إحدى الجمعيات الخيرية، وكان ذلك حوالي الوقت الذي ذهب فيه «ريتشارد» لزيارتها.

وهنا بدا الانزعاج على وجه «سوزان»، وقالت:

- هل ذهب خالي «رتشارد» لزيارتها؟ لم تكن عندي أقل فكرة عن هذا!..

فقال المحامي:

- ولا أنا..

- إذن فقد حدث هذا عندما...

- (عندما) ماذا.؟..

فقالت «سوزان»:

- لا شيء!.. لا شيء..!

الفصل السادس

قالت «مود» ترحب بالمحامي «أنتويسل» على محطة السكة الحديد:

- كان كرماً منك أن تحضر... أؤكد لك أن هذه الزيارة هي محل تقدير مني أنا وزوجي «تيموذي»... والحقيقة أن وفاة أخيه «رتشارد» كانت أسوأ شيء أثر في صحته...

وقادته إلى سيارة عتيقة لم تتحرك إلاَّ بعد محاولات شتى من جانبها، وقالت معتذرة:

- إن هذه الملعونة أتعبتني أثناء عودتي من تشييع الجنازة... فقد تعطلت في الطريق حتى سرت على قدمي مسافة أميال إلى أقرب قرية واضطررت إلى المبيت في الفندق الصغير هناك حتى يتم إصلاحها... لا شك أن هذا الغياب أزعج «تيموزي» جداً، ولم أجد بداً من الاتصال به تليفونياً لأخطره أنني لن أتمكن من العودة إلاَّ في اليوم التالي... إنه ينزعج كثيراً من هذه المفاجآت، حتى أن الإنسان يضطر إلى إخفاء بعض الأمور عنه خوفاً على صحته... لكن هناك أشياء لا يمكن كتمانها ولا حيلة فيها... مثل مقتل «كورا»... إنني اضطررت إلى إرسال الدكتور «بارتون» طبيب العائلة له لإعطائه بعض المسكنات.. مسكينة «كورا»!.. رغم بلاهتها فإنها انتهت نهاية غير معقولة

ألم يكن لها بعض الأصدقاء المقربين؟ أعني من الفنانين أو الموسيقيين المهوسين... أو أي شيء من هذا القبيل...

شخص من هذا النوع سمحت له بالدخول عندها، ثم قتلها من أجل النقود!..

إن وجه الغرابة في هذا هو وقوع الجريمة في وضح النهار... فمثل هذه الجرائم لا تقع إلا ليلاً..

فقال المحامي:

ـ لو وقع الحادث ليلاً لكانت هناك امرأتان.

ـ آه... تقصد مرافقتها.. على كل حال الأسلم للفاعل لو كان يقصد السرقة أن يفعل هذا بعد خروج المرأتين معاً... ولذلك فإن هذه الجريمة تبدو في نظري لا معنى لها.

* * *

نهض «تيموزي» من مقعده ومد يده إلى ضيفه قائلاً:

ـ أشكرك لحضورك يا «أنتويسل».

كان ممتلىء الجسم يشبه أخاه «رتشارد» شبهاً قوياً، ولكن ملامح وجهه كانت تشف عن ضعف الإرادة وكانت علامات التذمر هي السمة الغالبة عليه.

وأضاف يقول محذراً:

ـ يجب ألاّ أجهد نفسي... فقد حتم علي الطبيب هذا... إنه يشير علي دائماً بتجنب القلق... لكن لو حدثت في أسرته جريمة قتل، لكان أول من يستسلم للقلق!..!

... كانت صدمة لي أصابتني بما يشبه الصرع لمدة عشرين دقيقة!.. لا بد لك أن تشرف على كل شيء بالنيابة عني يا «أنتويسل»... ليس في مقدرتي أن أذهب إلى التحقيق الرسمي ولا أن أتعرض لمتاعب من أي نوع بسبب تركة «كورا».. إنني أريد أن أنسى المسألة كلها... وبهذه المناسبة، ما مصير نصيب «كورا» في تركة «رتشارد»؟ سوف يئول إلي فيما أظن؟

ـ إن المبلغ المخصص ريعه لـ«كورا» يئول إليك وإلى أبناء وبنات الأخوات بالتساوي.

فقال «تيموذي» وقد احتقنت وجنتاه اهتياجاً:

ـ لكنني أقرب الأقرباء إليها! أنا شقيقها الوحيد الحي!

فأخذ المحامي يشرح له بدقة تفاصيل شروط وصية «رتشارد أبرناثي»، مذكراً إياه برقة أنه أرسل إليه نسخة من الوصية.

فقال «تيموذي» متناسياً واجب الشكر:

ـ لا تنتظر مني أن أفهم كل ذلك اللغو القضائي!... إنني لم أصدق هذا عندما عادت «مود» وأخبرتني بملخص الوصية.. نعم إن نصيبي من التركة سوف يمكنني الآن من الوقوف على قدمي وإصلاح المنزل والحديقة واستعادة الخدم... ولكنني أصارحك بأن شروط وصية «رتشارد» قد جرحت شعوري بشدة. أنا «أبرناثي» صميم! وأنا آخر أصلاب الأسرة! وكان يجب ترك الإشراف الكامل لي!...

ومضى «تيموزي» يضرب على هذه النغمة في انفعال ظاهر

وقد نسي مرضه حتى اعتدل في مقعده وبدا صحيحاً معافى..
وأخيراً قالت «مود» بحزم:

أظن أن مستر «أنتويسل» بقي معك مدة كافية.. لا بد لك من الراحة الآن...

* * *

وسافر «أنتويسل» إلى «لندن» بقطار الصباح المبكر في اليوم التالي... وعندما وصل إلى منزله، اتصل تليفونياً بواحد من أصدقائه بعد تردد لم يطل مداه.

الفصل السابع

قال المحامي «أنتويسل» لمضيفه بحرارة بعد أن فرغا من تناول طعام العشاء:

ـ لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى سروري بدعوتك لي. . إن هذه الوليمة الحافلة تشف عن كرم فرنسي.

فقال «هركيول بوارو» وهو يشير إلى مقعد وثير لكي يجلس فيه ضيفه:

ـ أنا بلجيكي. . . ولكنني فرنسي في معدتي. . . والحقيقة أن الإنسان في سني تكون متعته الوحيدة في الحياة هي المائدة. . . ومن حسن الحظ أن لي معدة جيدة.

ـ آه! لكنني أحسدك على هذا (الأسكلوب الشهي). . ترى كيف تحصل على مثل هذا اللحم الممتاز الذي يذوب تحت الأسنان؟

فقال «بوارو» ضاحكاً:

ـ إن لي صديقاً يشتغل بالجزارة. . . وقد وفقت إلى حل بعض مشاكله. . وإعراباً عن امتنانه لي فإنه يرعاني فيما يتصل بشئون المعدة!

ـ حل المشاكل؟ ليتك لم تذكرني بالمهمة التي جئت من أجلها. . إنها ثقيلة على نفسي، ولا أعرف من أين أبدأ القصة.

وتنهد واستطرد قائلاً:

ـ لا أدري إن كان دوري هنا دور المغفل الذي يجسم الأمور ويجعل من الحبة قبة. . . لكنني سوف أضع الوقائع أمامك، وأود أن أعرف رأيك في النهاية.

وتمهل المحامي برهة، ثم أخذ في سرد قضيته بأسلوبه المنظم ومنطقه القانوني مما كان موضع اهتمام وتقدير الرجل القصير الكهل ذي الرأس الشبيهة بالبيضة.

وساد الصمت بعد أن فرغ المحامي من كلامه.. وتأهب للرد على الأسئلة.. فقد كان «بوارو» يستعرض في ذهنه الوقائع التي سمعها... ثم قال في النهاية:

ـ يبدو أن المسألة واضحة.. فقد قام الشك في ذهنك أن صديقك «رتشارد أبرناثي» قد يكون مات مقتولاً.. وهذا الشك أو هذا الافتراض يستند إلى أساس واحد فقط ـ هو الكلمات التي قالتها «كورا أبرناثي» في جنازة «رتشارد أبرناثي».. فإذا استبعدنا هذه الكلمات فلا يبقى لدينا شيء وكون أن «كورا» ذاتها ماتت مقتولة في اليوم التالي، ربما يكون من قبيل المصادفة المحضة.. نعم إن «رتشارد أبرناثي» توفي فجأة، ولكنه كان تحت إشراف الطبيب، وقد أصدر شهادة بالوفاة.. هل دفن «رتشارد» أو أحرقت جثته؟

ـ أحرقت جثته، بناء على طلبه.

ـ وهذا يعني أن طبيباً ثانياً وقع شهادة الوفاة بإمضائه... وإذن فإننا نعود إلى النقطة الجوهرية، وهي ما قالته «كورا لانكنير».. إنك كنت هناك وسمعتها... لقد قالت: «إن «رتشارد» مات قتيلاً، أليس كذلك؟»..

ـ هذا ما قالته.

ـ والنقطة الجوهرية هي أنك تعتقد أنها قالت الحقيقة.

ـ نعم... هذا ما أعتقده.

ـ لماذا؟

ـ لماذا؟!

ردد المحامي هذه الكلمة في شيء من الحيرة، فقال «بوارو»:

ـ نعم، لماذا؟ هل السبب لأنك تشعر في قرارة نفسك بقلق من

كيفية وفاة «رتشارد»؟

فهز المحامي رأسه قائلاً:

ـ لا.. لا.. ليس هذا بأي حال.

ـ إذن فالسبب هو «كورا» نفسها.. هل كنت تعرفها جيداً؟

ـ إنني لم أرها منذ.. أكثر من عشرين سنة.

ـ هل كان يمكن أن تعرفها لو كنت صادفتها في الشارع،

فتأمل المحامي برهة ثم أجاب:

ـ ربما كنت أمر بجانبها في الشارع دون أن أعرفها.. إنها كانت بنتاً نحيلة عندما رأيتها لآخر مرة، ثم تحولت إلى امرأة قوية في متوسط العمر.. ولكن لو أنني تكلمت معها وجهاً لوجه عندئذ لعرفتها.. ولما رأيتها أخيراً كانت تصفف شعرها بنفس طريقتها الأولى وهي الشعر المقصوص فوق الجبين بخط أفقي منتظم، وكانت لها طريقتها الخاصة في التحديق إلى الإنسان من خلال خصلة شعرها، كحيوان متردد.. وكانت لها خاصة أخرى هي اندفاعها في الكلام بصورة مفاجئة، مع إمالة الرأس إلى جانب، وإطلاق الكلام الصارخ.

ـ إذن فقد كانت هي «كورا» ذاتها التي عرفتها منذ سنوات، وكانت على حالتها من الصراحة المحرجة.. والآن أخبرني.. عندما قالت «كورا» ما قالته، كان هناك نوع من الاحتجاج الجماعي.. أهذا صحيح؟

ـ صحيح تماماً..

ـ وبعد ذلك ارتبكت، وأحجمت، وتراجعت عن موقفها، قائلة، ـ طبقاً لما استطعت أنت أن تتذكره، ـ كلاماً مثل: «لكنني كنت أظن مما قاله لي «رتشارد»..»

فأومأ المحامي برأسه قائلاً:

ـ ليتني كنت أستطيع أن أتذكر بوضوح أكثر.. لكنني متأكد من هذا بصورة إجمالية.. إن الكلمات التي استخدمتها هي: «إن

«رتشارد» أخبرني». . أو «إن «رتشارد» قال. . .»

- وفي اليوم التالي ذاته تموت «كورا» مقتولة. . وهنا تسأل نفسك. أيمكن أن يكون هذا من قبيل السبب والمسبب؟

فتململ المحامي في مقعده، ثم أجاب:

- أظن أن هذا يبدو شيئاً مسرفاً في الخيال؟

فقال «بوارو»:

- أبداً. . إذا سلمنا بأن الافتراض الأصلي صحيح، فهذا شيء منطقي. . إن الجريمة الكاملة، أو جريمة قتل «رتشارد أبرناثي»، قد ارتكبت، وقد سار كل شيء على أحسن ما يرام. . . وفجأة يبدو أنه يوجد شخص عنده علم بالحقيقة!. . . ومن الواضح أن هذا الشخص يجب إسكاته بأسرع ما يمكن. .

- إذن فأنت تظن أنها. . . أنها جريمة قتل بـ

فقال «بوارو»:

- إنني أظن يا عزيزي مثل ظنك بالضبط. . وهو أن هناك قضية للبحث والتحقيق. . هل اتخذت إجراءات ما؟ هل تكلمت عن هذه المسائل مع البوليس؟

- كلا. . لقد بدا لي أن شيئاً كهذا لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة طيبة. . إن مركزي هو أنني أمثل الأسرة. . وإذا كان «رتشارد أبرناثي» قد قتل، فيبدو أن هناك طريقة واحدة تم بها هذا. .

- بالسم؟

- تماماً. . وقد تم حرق الجثة. . ولا يوجد الآن أي دليل متيسر. . ولكنني قررت أنه لا بد أن يرتاح بالي أنا شخصياً من هذه الناحية. . وهذا هو السبب الذي جعلني أحضر إليك يا «بوارو». .

- من كان في القصر وقت وفاته؟

- رئيس خدم عجوز كان في خدمته منذ سنوات، وطاهية وخادمة. . وربما يبدو أنه لا بد أن يكون أحدهم هو بالضرورة. القاتل.

ـ آه!... لا تحاول أن تمنع عني رؤية الحقائق... إن «كورا» هذه عرفت أن «رتشارد أبرناثي» مات مقتولاً، وهي ترتضي أن تشترك في عملية الصمت والكتمان.. هي تقول:

«أظن أنكم جميعاً على حق».. وإذن فلا بد أن يكون المقصود هو أحد أفراد الأسرة.. شخص لا يستصوب اتهامه علناً.. ولولا هذا لما ارتضت «كورا» مع شدة حبها لأخيها أن تدع القاتل المختفي يظل مجهولاً.. أنت توافق على هذا ولا شك؟

فقال المحامي:

ـ أصارحك أن هذا هو ما استخلصه لنفسي.. رغم أن كل فرد من أفراد الأسرة قد أمكنه أن يبرىء نفسه.

ـ لعلك قمت فعلاً ببعض الخطوات؟

ـ خطوات قليلة.. وكان غرضي بصفة أساسية هو التوضيح والحصر.. إنه لشيء كريه إلى نفسي أن أفكر في أن واحداً من أفراد أسرة «أبرناثي» يكون قاتلاً.. وما زلت لا أعتقد هذا بتاتاً.. وكل ما قصدته هو أنه ربما كان بإمكاني ببعض الأسئلة العابرة أن أبرىء أفراداً معينين منهم بما يبعد عنهم كل شك... وربما كلهم.. وعلى كل حال فإن المحاولة التي قمت بها كانت يسيرة جداً.. وهي: ماذا كان أفراد أسرة «أبرناثي» يفعلون في فترة ما بعد ظهر اليوم الذي قتلت فيه «كورا لانكنير»؟

فقال «بوارو»:

ـ جميل.. وماذا كانوا يفعلون؟

ـ إن «جورج كروسفيلد» ابن أخت «رتشارد» كان في ميدان سباق الخيل في «هورست» و«روزماري شان» ابنة أخته خرجت للطواف بمتاجر «لندن».. وزوجها «مايكل» كان يتفق مع المخرج على مسرحية يقوم ببطولتها.. و«سوزان» ابنة الأخت الثانية وزوجها «جريجوري بانكس» مساعد الصيدلي لزما مسكنهما طول النهار..

و«تيموذي أبرناثي» شقيق «رتشارد» والمعروف باسم المريض الخالد كان في بيته في مقاطعة «يوركشير»... وكانت زوجته «مود» عائدة بسيارتها من قصر «أندربي».

وتوقف المحامي.. فنظر إليه «بوارو» وأومأ برأسه موافقاً وقال:

- نعم.. هذا هو ما قالوه.. وهل كله صحيح؟

- لا أدري يا «بوارو».. فالمجال هنا متسع للصدق والكذب.. ولكنني سأذكر لك نتائج معينة استخلصتها لنفسي.. قال «جورج» إنه كان في ميدان سباق الخيل، ولكنني لا أظنه ذهب فعلاً.. لقد قال لي إنه راهن على جوادين فازا في السباق. ولما سألته عن اسميهما أجاب بلا تردد.. ولما بحثت المسألة بنفسي فيما بعد تبين أن الجوادين اللذين ذكرهما فاز أحدهما فقط، ولم يصل الثاني حتى إلى نهاية السباق..

- شيء طريف.. هل كان «جورج» هذا في حاجة إلى المال في فترة وفاة خاله؟

- إن حاجته إلى المال كانت ماسة.

وتوقف المحامي مرة أخرى.. ثم عاد وقال:

- أما عن «روزاموند» فهي فاتنة ولكن مهوسة... ولا أعتقد أن امرأة مثلها يمكن أن تحمل بلطة وتهشم بها رأس «كورا»! وزوجها «مايكل شان» الممثل، شاب ذو طموح ولكنه معتد بنفسه كثيراً.. لا أعرف عنه الكثير، وليس هناك سبب يجعلني أرتاب في إقدامه على ارتكاب جريمة وحشية أو القيام بعملية تسميم عن عمد وقصد... لكن إلى أن يثبت بالدليل أنه فعل حقاً ما يقول إنه فعله فلا يمكنني استبعاده من دائرة الشك والاتهام.

- وماذا عن بنت الأخت الأخرى؟

- «سوزان»؟ إنها تختلف تماماً عن «روزاموند».. إنها فتاة ذات شخصية واقتدار.. وهي وزوجها كانا في البيت في ذلك اليوم وقد قلت لهما (كذباً) إنني حاولت الاتصال بهما تليفونياً بعد ظهر ذلك

اليوم، فقال زوجها «جريجوري» في الحال إن التليفون كان به عطل طول النهار. فقد حاول الإتصال بشخص ما ولم يوفق.

ـ إذن فالموقف غير قاطع هنا أيضاً. أنت لا تستطيع استبعادهما من دائرة الشك كما كنت ترجو. ما وصف الزوج؟

ـ من الصعب أن أصفه لك.. إن له شخصية منفرة، وإن كنت لا أستطيع أن أقول بالضبط لماذا وجدت هذا الانطباع في نفسي من ناحيته

ـ أما عن «سوزان»؟

ـ نعم؟

ـ إن «سوزان» تذكرني بخالها «رتشارد».. إن لها قوة شخصيته ومقدرته الذهنية... وربما كان الوهم هو الذي يصور لي أنه ينقصها ما كان لصديقي «رتشارد» من طيبة القلب ودفئه.

فقال «بوارو»:

ـ .والآن حدثني عن زيارتك لأفراد الجيل الأكبر سناً في الأسرة..

فوصف «أنتويسل» زيارته لـ«ثيموذي» وزوجته «مود» بشيء من التفصيل.. وتولى «بوارو» تلخيص النتيجة قائلاً:

ـ إذن فإن «مود» بارعة في قيادة السيارات وإصلاحها؟ و«تيموزي» ليس في حقيقته بالمريض الخالد كما يظن بينه وبين نفسه؟ فهو يخرج أحياناً للرياضة سيراً وفي مقدرته أن يقوم بعمل شاق؟ ثم هو أناني، وكان يحسد أخاه «رتشارد» على نجاحه وتفوقه؟

وماذا عن المستفيد السادس من وصية «رتشارد»؟

ـ «هيلين»؟ أرملة «ليو» شقيق «رتشارد»؟ إنني لا أشك فيها لحظة واحدة.. وعلى أي حال فمن السهل إثبات براءتها.. فإنها بقيت في قصر «أندربي»، مع ثلاثة من الخدم.

فقال «بوارو»:

ـ حسنٌ يا صديقي.. أعترف لك بأن هـذه القضية أثـارت اهتمامي.. لأنها ليست سهلة.. ولأن وقائعها مشوشة مبهمة.. هناك مسألة يحسن يا صديقي أن تقوم بها. وبعدها سوف أتكفل أنا بكل شيء.. المسألة التي أعنيها هي أن تقابل الطبيب الذي أشرف على علاج «رتشارد أبرناثي».. هل تعرفه؟

ـ معرفة سطحية..

ـ وما معلوماتك عنه؟

ـ هو طبيب باطني متوسط العمر... كفء.

وكان وثيق الصلة بـ«رتشارد»... وهو شخص لا غبار عليه بحال..

ـ إذن فقابله.. إنه سوف يتكلم معك بحرية أكثر مما يتكلم معي.. سله عن مرض «رتشارد».. استفهم منه عن الأدوية التي كان «رتشارد» يتناولها وقت وفاته وقبلها.. حاول أن تعرف منه إن كان «رتشارد» قد ذكر له شيئاً عن توهمه بدس سم له.. وبهـذه المناسبة، هل مس «جيلكريست» هذه متأكدة أن «رتشارد» قد ذكر كلمة (التسمم) في كلامه مع أخته «كورا»؟

فجعل «أنتويسل» يفكر برهة، ثم أجاب قائلاً:

ـ هذه هي الكلمة التي استخدمتها.. لكنها من نوع الشهود الذين يغيرون غالباً الألفاظ التي يستخدمونها..

ـ هل خطر لك يا صديقي أن مس «جيلكريست» هذه قد تكون هي ذاتها معرضة للخطر؟

ـ لا يمكنني أن أقول إن هذا خطر ببالي فعلاً!

ـ أظن الآن يا صديقي أن الأفضل لها ألاَّ تبقى وحدها في تلك الفيللا.

ـ أعتقد أن «سوزان» سوف تذهب إلى هناك... إنها تريد أن تحصر متعلقات «كورا».

ـ مفهوم.. مفهوم.. لا بأس يا صديقي.. أفعل ما طلبت منك.. ويمكنك أيضاً أن تبلغ «هيلين» عن احتمال ذهابي إلى القصر.. سوف نرى.. من الآن فصاعداً سوف أركز اهتمامي في هذه القضية.

وأخذ «بوارو» يفتل شاربه بنشاط كبير.

الفصل الثامن

وضعت مس «جيلكريس» قبعتها السوداء على رأسها بإحكام وأدخلت تحتها خصلة من الشعر الأشيب كانت بارزة.

كان التحقيق الرسمي في مقتل «كورا لانكنير» سيتم في الساعة الثانية عشرة، ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والثلث.. وكان بودها أن تكون ملابسها كلها سوداء لولا أن مواردها لم تكن تسمح بذلك، فاكتفت بما تيسر من الملابس القاتمة. وراحت تدور بنظرها في أرجاء غرفة النوم الصغيرة النظيفة وجدرانها التي علقت عليها صور تمثل ميناء «بـريكسهام» وميناء «بولفلكسان».. وفوق الدولاب الصغير قامت صورة باهتة في إطار أنيق تمثل مشرب الشاي المسمى «شجرة الصفصاف»، وقد اختصته مس «جيلكريست» بنظرة إعزاز خاصة ولم تتمالك أن تنهدت.

ثم أفاقت من استغراقها على صوت جرس الباب الخارجي في الطابق الأرضي، فغمغَمت قائلة:

ـ يا إلهي! ترى من يكون؟

وخرجت من غرفتها وراحت تهبط السلم العتيق. وفتحت الباب لتجد أمامها امرأة شابة مرتدية ملابس سوداء أنيقة وبيـدها حقيبـة ملابس صغيرة.. ولما لاحظت المرأة نظرة الانزعاج البادية في وجه مس «جيلكريست» سارعت تقول:

ـ مس «جيلكريست»؟ أنا «سوزان بانكس».. ابنة خالة مسز «لانكنير»..

ـ آه.. نعم.. طبعاً.. لم أكن أعرف.. تفضلي بالدخول يا مسز «بانكس».. لم أعرف أنك سوف تحضرين التحقيق، وإلاَّ لأعددت لك بعض القهوة أو الشاي.

فقالت «سوزان بانكس» بنشاط:

ـ لا أريد أي شيء.. أنا آسفة جداً لأنني أفزعتك.

ـ الحقيقة أن هذا ما حدث إلى حد ما.. فقد كنت متوترة الأعصاب طول ساعات الصباح.. ومنذ نصف ساعة فقط رن الجرس ولم أكد أقوى على فتح الباب، وهو ما كان غباوة مني، لأنه من غير المحتمل أن يعود القاتل إلى هنا، ولم يكن القادم سوى راهبة تجمع التبرعات لملجأ أيتام، لكن أرجو أن تجلسي يا مسز «بانكس»... هل جئت بالقطار؟

ـ لا... جئت بسيارتي... ولما وجدت الحارة ضيقة تركتها في محجر قديم وجدته بالقرب من هنا.

وراحت «سوزان بانكس» تدير نظرها في الغرفة، ثم قالت:

ـ مسكينة خالتي «كورا»... إنها تركت كل ما كان عندها لي، كما تعلمين.

ـ نعم.. أن مستر «أنتويسل» أخبرني بهذا... أظن أنك ستكونين راضية عن الأثاث.

فقالت «سوزان»:

ـ لن أحتاج إلى شيء من الأثاث، فعندنا منه ما يكفي.. ولذلك سأعمل على عرضه للبيع في المزاد... إلاَّ إذا.. هل تحبين شيئاً منه؟

ـ شكراً عظيماً يا مسز «بانكس»... فإنني أخذت صورها الجميلة، مع مشبك جميل مرصع، طبقاً لما جاء في الوصية كما تعلمين... هل تحبين أن تفحصي متعلقاتها، بعد التحقيق؟

ـ إنني فكرت في البقاء هنا يومين، لكي أفحص المتعلقات وأتمم الإجراءات اللازمة.

ـ تقصدين أن تبيتي هنا؟

ـ نعم.. هل هناك صعوبة في هذا؟

ـ لا يا مسز «بانكس» بالطبع... سوف أضع ملاءات نظيفة على سريري، ويمكنني أن أنام على هذه الأريكة وأنا مرتاحة.

ـ لكن هناك غرفة خالتي «كورا»... بإمكاني أن أنام فيها.

ـ ألا... ألا تمانعين؟

ـ تقصدين لأنها قتلت في تلك الغرفة؟ أنا لا أهتم بشيء كهذا... إن أعصابي قوية يا مس «جيلكريست»... لكن هل الغرفة صالحة الآن؟

ـ نعم يا مسز «بانكس»... إن كل الملاءات أرسلت للكواء، وتوجد ملاءات كثيرة إضافية... لكن تعالي نصعد لكي تري بنفسك.

وصعدت السلم تتبعها «سوزان».

كانت الغرفة التي قتلت فيها «كورا لانكنير» نظيفة ولا أثر بها للجو المشحون الذي يتوقعه الإنسان... وكان أثاثها خليطاً من الطراز الحديث الذي ينم عن الطابع الخاص لصاحبته في غرابة أطوارها.. ورأت «سوزان» فوق رف المدفأة صورة زيتية تبين امرأة توشك أن تدخل الحمام، فقالت مس «جيلكريست»:

ـ هذه صورة رسمها زوج مسز «لانكنير»... هناك كثير من هذه الصور في غرفة الطعام.

ـ كم هي شنيعة!

ـ الحقيقة أنني لا أهتم بمثل هذا الاتجاه الفني في الرسم... لكن مسز «لانكنير» كانت فخورة جداً بزوجها كفنان، وكانت تظن أنهم يبخسونه قدره.

ـ وأين الصور التي رسمتها خالتي «كورا»؟

ـ في غرفتي... هل تحبين أن تتفرجي عليها؟

والواقع أن مس «جيلكريست» أخذت تعرض كنوزها الفنية معجبة مفاخرة.

ولاحظت «سوزان» أن خالتها «كورا» كانت مغرمة فيما يبدو بالمناطق الساحلية..

فقالت مس «جيلكريست»:

- نعم، هو ذاك... إنها عاشت سنوات كثيرة مع مستر «لانكنير» في قرية صغيرة للصيادين في مقاطعة «بريتاني» الفرنسية... والحقيقة أن مشاهد سفن الصيد لها دائماً طابع تقليدي جميل، أليس كذلك؟

ونظرت إلى ساعتها، فقالت «سوزان» في الحال:

- بلى يجب أن نذهب الآن إلى التحقيق... هل المكان بعيد؟ هل أحضر سيارتي؟

فقالت مسز «جيلكريست» إنه لا يبعد أكثر من خمس دقائق سيراً... وهكذا توجهنا إلى مقر التحقيق في قاعة البلدية، وهناك وجدتا المحامي «أنتويسل» الذي جاء بالقطار.

كان هناك جمع كبير من الأغراب... ولم يكن التحقيق الرسمي مثيراً... وقد بدأ بشهادة الشهود عن التعرف على شخصية المتوفاة، ثم التقرير الطبي عن طبيعة الجروح التي تسببت في موتها.. ويبدا من الأقوال أنه لم تحدث مقاومة ما، وكان المرجح أن المتوفاة كانت تحت تأثير منوم حينما هوجمت، وأنها أخذت على غرة... وقيل إن الوفاة حدثت فيما بين الساعة الثانية والساعة الرابعة والنصف على وجه التقريب... وشهدت مس «جيلكريست» بأنها هي التي اكتشفت الجريمة... وتلت ذلك شهادة مفتش البوليس «مورتن» وبعض رجال البوليس... ثم تولى المحقق تلخيص وقائع القضية، وفي النهاية أصدر المحلفون قرارهم بأن الواقعة هي: «جريمة قتل بفعل شخص أو أشخاص مجهولين».

هكذا انتهت إجراءات التحقيق... وخرجوا من القاعة تتلقفهم كاميرات الصحفيين... وأسرع «أنتويسل» فصحب «سوزان» ومس «جيلكريست» إلى فندق «كنجز آرمز» الصغير حيث كان قد رتب طعام الغداء لثلاثتهم في حجرة خاصة خلف البار.

وقال المحامي: لم أعرف أنك ستحضرين اليوم يا «سوزان»... فقد كان يمكن أن نحضر معاً.

- أعرف أنني قلت إنني لن أحضر... لكن خيل إلي أن من عدم المروءة ألا يحضر أحد من الأسرة.. فقد كانت «روزاموند» مشغولة ببروفة في المسرح، وخالي «تيموذي» مريض كما تعلم... هكذا لم يكن بد من حضوري.

- ألم يحضر زوجك معك؟

- إن «جريجوري» اضطر إلى ملازمة عمله في الصيدلية.. والحقيقة أننا شرعنا في إعداد معمل صغير لأدوات ومستحضرات التجميل.

وفي أثناء الحديث قال المحامي بلهجة أقرب إلى الاعتذار:

- إنني كنت أفكر في موضوع خالك «تيموذي»... إنني أشعر بقلق من أجله.

فقالت «سوزان»:

- لو كنت مكانك لما قلقت... أنا شخصياً لا أعتقد أن به مرض.. هو مريض بالوهم.

- نعم.. نعم.. صدقت.. أعترف أن صحته لم تكن هي التي تشغلني وإنما هي حالة مسز «تيموزي»... إن «مود» سقطت على السلم والتوت قدمها.. وهي طريحة الفراش، وخالك في حالة شنيعة.

- لأنه سيضطر إلى العناية بها بدلاً من أن تعنى هي به! هذا جزاؤه!

- نعم.. صدقت.. لكن هل ستجد زوجة خالك المسكينة من يعتني بها فعلاً، مع عدم وجود خدم في منزلهم العتيق؟

فقالت «سوزان»:
ـ الحقيقة أن الحياة ستكون شاقة جداً بالنسبة لهما.
وبعد الغداء غادروا الفندق الصغير محاذرين، لكن مندوبي الصحف تفرقوا فيما يبدو... فأوصل المحامي المرأتين حتى باب الفيللا، وعاد هو إلى الفندق حيث كان قد حجز لنفسه غرفة.

* * *

وفي الفيللا بينما كانت مس «جيلكريست» تعد الشاي دق جرس الباب الخارجي... فخرجت «سوزان» إلى الصالة وفتحت الباب.
كان الزائر رجلاً متقدماً في السن رفع قبعته محيياً، وقال ببشاشة:
ـ أظنك مسز «بانكس»؟
ـ نعم.
ـ اسمي «جوثري»... «ألكسندر جوثري».. إنني كنت صديقاً قديماً لمسز «لانكنير».. أنت ابنة أختها، مسز «سوزان أبرناثي»، كما أظن؟
ـ بالضبط.
ـ إذن فما دمنا نعرف من أنت، يمكنني أن أدخل.
ـ بالطبع.
وتبع «سوزان» إلى غرفة الجلوس وهو يقول:
ـ هذه مناسبة مؤسفة... مؤسفة جداً... إنني كنت قريباً من هنا، ورأيت أن أقل ما يمكن أن أفعله هو أن أحضر التحقيق، ثم الجنازة فيما بعد بالطبع.. مسكينة «كورا»... إنني عرفتها يا مسز «بانكس» منذ الأيام الأولى لزواجها.. إنها كانت فتاة متحمسة، وكانت تؤمن بالفن، وكانت متعلقة بزوجها الفنان... وقد قطعت صلتها بأسرتها لأن الأسرة لم تقدر «بيير» كما يجب... وكانت تمتاز بظرفها، رغم أننا كنا نحتار أحياناً إزاء صراحتها اللاذعة، سواء كان ذلك عن سذاجة منها أو عن عمد.

وقدمت «سوزان» للضيف سيجارة، ولكنه هز رأسه قائلاً:
ـ أشكرك يا عزيزتي... أنا لا أدخن.. أصارحك أنني جئت وأنا أشعر بتأنيب الضمير. فمنذ أسابيع ماضية كنت وعدت «كورا» بالحضور لزيارتها... وكنت في المعتاد أزورها مرة في السنة، فقد تملكتها هواية شراء الصور في المزادات، وكانت تريد أن تريني بعض الصور باعتبار مهنتي كخبير فني... وقد كتبت إلي أخيراً رسالة تفيض حماسة أبلغتني فيها أنها اشترت في أحد المزادات تحفة إيطالية من الفن القديم، وقد وعدتها بالحضور لرؤ يتها.
فقالت «سوزان» مشيرة إلى الحائط خلفه:
ـ أظن أنها الصورة المعلقة هناك.

فنهض مستر «جوثري» ووضع نظارته على عينيه وتقدم إلى مكان الصورة، وما لبث أن قال أخيراً:
ـ تفاهة! مسكينة! ومع ذلك فإن هذه الهواية كانت تعطيها حافزاً في الحياة... وأحمد الله أنني لم أضطر إلى تخييب ظنونها! والآن يا عزيزتي مسز «بانكس»، لا أريد أن أضيع من وقتك أكثر من هذا.
وجاءت مس «جيلكريست» تحمل أقداح الشاي. ولكن الرجل اعتذر واستأذن في الإنصراف فساعدته «جيلكريست» في ارتداء معطفه ورافقته إلى الباب الخارجي.

وعادت مس «جيلكريست» إلى الغرفة وبيدها طرد صغير قائلة:
ـ لا بد أن موزع البريد جاء إلى هنا ونحن في التحقيق.. إنه حشر العلبة في فتحة صندوق البريد، ولكنها سقطت في الركن خلف الباب.. ترى.. آه! طبعاً لا بد أنها كعكة زفاف!
ومزقت مس «جيلكريست» الغلاف بحركة تنم عن سعادتها، وإذا بداخلها علبة صغيرة بيضاء مربوطة بشريط فضي.
ـ هي فعلاً كما قلت!
ورفعت الشريط، فكان بداخل العلبة كعكة دسمة محلاة بالجوز

والمكسرات... وتناولت البطاقة الملحقة بها وقرأت اسم:

- «جون» و«ماري».. من يكونان يا ترى؟ من المضحك عدم كتابة اللقب مع اسمي العروسين!... وراحت مس «جيلكريست» وهي سعيدة بالهدية تراجع أسماء «جون» و«ماري» من معارفها. قالت:

- ربما كانت «ماري» ابنة «دروثي»، لكنني لم أسمع أنها خطبت أو تزوجت... وهناك «جون بانفيلد» الصغير.. أظن أنه كبر وأصبح في سن الزواج... أو ربما كانت ابنة أسرة «أنفيلد»... لكن هذه كان اسمها «مرغريت»... لا عنوان ولا أي شيء! على أي حال لا بد أن أتذكر في وقت ما.

وحملت الصينية وذهبت إلى المطبخ.

فاستفاقت «سوزان» من خموها قائلة:

- لا بأس... أظن أنه من الأفضل أن أذهب لوضع السيارة في مكان مناسب.

الفصل التاسع

قادت «سوزان» سيارتها من المحجر القديم الذي تركتها فيه وقتاً ما وذهبت بها إلى القرية... كانت هناك محطة بنزين، لكن لم يوجد جراج، وأشير عليها أن تذهب بالسيارة إلى الفندق الصغير. وهناك وجدت حظيرة تركتها فيها إلى جانب سيارة كبيرة كانت تستعد للخروج.. وكان لهذه السيارة سائق خاص وبداخلها رجل متقدم في السن أجنبي الهيئة ذو شارب كبير وهو ملتف بملابس ثقيلة.

وعادت «سوزان» إلى الفيللا حيث استقبلتها مس «جيلكريست» قائلة بارتياح ضايقها:

ـ الحمد لله أنك عدت بخير!..

ثم أضافت مستفهمة:

ـ ما رأيك في (الإسباجتي) للعشاء؟ إنني أفتخر بأن هذا الطبق المخصوص من مبتكراتي.

ـ كما تحبين... لا أريد كثيراً.

كانت مس «جيلكريست» فعلاً طاهية بارعة، وقد أسعدها إطراء «سوزان» لمقدرتها.. وبعد الطعام جاءتها بالقهوة. وقدمت لها قطعة من كعكعة الزفاف، ولما اعتذرت «سوزان» قالت مس «جيلكريست» بإلحاح وهي تتذوقها:

ـ إن طعمها لذيذ جداً.

واستقر تخمينها في النهاية عند اسم «ماري» ابنة صديقتها

«إيلين» التي كانت تعرف أنها مخطوبة... وهكذا ارتاح بالها في النهاية.

وتركتها «سوزان» تسترسل في ذكرياتها البعيدة حتى أخلدت إلى الصمت في النهاية قبل أن تفاتحها في الموضوع الذي كان يعنيها... إن الفترة التي تعقب العشاء وبالقرب من نار المدفأة هي ولا شك لحظة مناسبة للتبسط والحديث. ولهذا قالت «سوزان» أخيراً.

- إن خالي «رتشارد» جاء إلى هنا قبل وفاته... أليس كذلك؟

- فعلاً.

- متى كان هذا بالضبط؟

- دعيني أتذكر.. لا بد أن هذا كان قبل أسبوعين.. لا... حوالي ثلاثة أسابيع قبل إعلان نبأ وفاته.

- هل بدا أنه كان مريضاً؟

- لا.. لا أظن أنه كان مريضاً بمعنى الكلمة... كانت حالته تدل على القوة والنشاط... وقد دهشت مسز «لانكنير» عندما رأته وقالت: «آه! هذا أنت يا «رتشارد»؟... بعد كل هذه السنين؟ فقال لها: «جئت لكي أرى بنفسي كيف تسير أحوالك». فردت عليه مسز «لانكنير» قائلة: «أنا بكل خير». وأظنها كانت مستاءة بعض الشيء لزيارته لها هكذا فجأة بعد طول المقاطعة.. وعلى أي حال فإن مستر «أبرناثي» قال لها: «لا فائدة من اختزان الأحقاد القديمة... أنت و«ثيموزي» وأنا نعتبر الأشقاء الثلاثة المتبقين على قيد الحياة من أفراد أسرتنا الكبيرة... و«تيموذي» نفسه لا يتكلم مع أحد إلا عن صحته... يبدو لي أن «بيير» أسعدك في حياتك الزوجية، وهذا يدل على أنني كنت مخطئاً في حقك... والآن، أيكفيك هذا؟ «والحقيقة يا مسز «بانكس» أن مستر «أبرناثي» كان ظريفاً في أسلوبه، رغم تقدم سنه بالطبع».

فسألتها سوزان».

- كم بقي هنا؟
- إنه بقي حتى موعد الغداء.
- وهل بدا أنهما أمضيا الوقت في تفاهم؟
- نعم.. فعلاً.
وصمتت «سوزان» برهة... ثم عادت تقول:
- هل دهشت خالتي «كورا» عندما... توفي؟
- دهشت فعلاً.. فقد كانت مفاجأة.. أليس كذلك؟
- هو ذلك... ألم يلمح لها بصورة ما إلى حالته المرضية؟
فتوقفت مس «جيلكريست» برهة قبل أن تجيب:
- .. لا.. لكنها أشارت فعلاً إلى أنه كبر في السن.. وأظنها ذكرت وصف (خرف الشيخوخة).
- لكن لا أظن أنك اعتقدت هذا في حالته؟
- الحقيقة أن مظهره لم يكن يدل على ذلك.. لكنني لم أتحدث معه كثيراً.. طبيعي أنني تركتهما وحدهما.
- ما خططك بشأن المستقبل يا مس «جيلكريست»؟
- الحقيقة أنني كنت أنوي أن أكلمك في ذلك يا مسز «بانكس».. إنني أخطرت مستر «أنتويسل» أن لي رغبة في البقاء هنا حتى تتم تسوية كل شيء.
- أعرف هذا.. وأنا شاكرة لك.
- وأود أن أسألك كم يستغرق هذا، لأنه لا بد لي بالطبع أن أبدأ في البحث عن مكان آخر.
ففكرت «سوزان» برهة، ثم قالت:
- في خلال يومين يمكن إتمام كل شيء، ثم نخطر السمسار بعد ذلك، لكي يتولى عملية البيع.
- هذا كرم منك يا مسز «بانكس»... وهل يمكنني بدوري أن أطلب منك... خطاب توصية، يذكر فيه أنني كنت أعمل لدى قريبة

لك، وأن عملي كان.. مرضياً؟

- بالطبع... لا شك في ذلك.

ثم فجأة خطرت لها الفكرة، فغمغمت:

- بالطبع... هذا هو المطلوب.

ورفعت سماعة التليفون وطلبت مكالمة عن طريق (الترنك)... وبعد نحو ربع ساعة سمعت صوتاً يشوبه السخط، يقول صاحبه:

- نعم.. نعم.. من هناك؟

- خالي «ثيموذي»؟ أنا «سوزان بانكس»!

- «سوزان»؟ ماذا جرى؟ لماذا تتكلمين في هذه الساعة المتأخرة ليلاً؟

- الوقت لا يزال مبكراً!

- ليس مبكراً... إنني كنت في الفراش!

- أنت تذهب إلى الفراش مبكراً:. كيف حال خالتي «مود»؟

- تتكلمين بالتليفون لتسألي عن هذا؟ إن خالتك تعاني الآلام الشديدة ولا يمكننا أن نفعل شيئاً! ذلك الطبيب الأحمق يقول إنه لم يجد ممرضة! وكان يريد نقل «مود» إلى المستشفى! لكنني أعرضت عن هذا... هناك امرأة مخبولة من أهل القرية تعمل الليلة عندنا... لكن اللعينة تقول إنها تريد العودة إلى زوجها! لا أعرف ماذا يمكن أن نفعله في هذه الورطة!

- من أجل هذا اتصلت بك تليفونياً... هل تريد مس «جيلكريست»؟

- من هي؟ لم أسمع عنها أبداً؟

- هي مرافقة خالتي «كورا».. إنها طيبة ومقتدرة.

- هل يمكنها أن تطبخ؟

- إنها طاهية ماهرة... ويمكنها أن تشرف على خالتي «مود»!

- هذا شيء جميل.. لكن متى يمكنها الحضور؟

ـ سأرتب أمورها بأقرب ما يمكن. . ربما بعد غد.

ـ أشكرك جداً. . أنت طيبة يا «سوزان». . أشكرك!

ووضعت «سوزان» سماعة التليفون وقالت لمس «جيلكريست»:

ـ هل تحبين أن تسافري إلى «يوركشير» للإشراف على خالتي؟ إنها وقعت والْتَوت قدمها وخالي مريض لا يمكنه مساعدتها بشيء. . . إنه مريض متعب، ولكن خالتي «مود» طيبة جداً. . إنهم يحضرون من يساعدهم من القرية، ويمكنك أنت أن تقومي بالطهي والإشراف على خالتي «مود».

فلم تتمالك مس «جيلكريست» أن وقع منها فنجان القهوة في غمرة انفعالها، وقالت:

أشكرك. . أشكرك من كل قلبي! هذه مكرمة منك! يمكنني أن أقول عن نفسي إن لي خبرة طيبة مع المرضى، وأنا متأكدة أنني سأرضي خالك وأعد له أطباق لحوم لذيذة!. . هذا فضل عظيم منك يا مسز «بانكس»، يقابل مني بالشكر والتقدير!. .

الفصل العاشر

تمددت «سوزان» في الفراش وانتظرت أن يأتيها النوم... كان يوماً حافلاً وكانت متعبة... ولم تكن تجد صعوبة في النوم في أي يوم من أيام حياتها الماضية.. ومع ذلك فهي الآن ممددة في الفراش مستيقظة ساعة بعد ساعة، وعقلها يدور ويدور.

قالت من قبل إنها لا تمانع في النوم في هذه الغرفة، في هذا الفراش... الفراش الذي لقيت فيه «كورا أبرناثي» مصرعها.

لا.. لا.. يجب أن تبعد عن ذهنها مثل هذه الأفكار.. إنها طالما تباهت بأن أعصابها قوية.. يجب ألاّ تفكر فيما حدث في هذه الغرفة منذ أقل من أسبوع.. يجب أن يكون تفكيرها منحصراً في المستقبل.. مستقبلها ومستقبل «جريجوري»... إن المكان الذي استأجراه في شارع «كارديجان» بـ«لندن» هو مكان مثالي... الدور الأرضي كمعمل كيماوي لمستحضرات التجميل ومعرض للبيع والدور العلوي كمسكن... وبهذا يمكن أن تهدأ أعصاب «جريجوري» وتبعد عنه أعراض تلك الأزمة النفسية التي أزعجتها في وقت ما.. إن هذه الأزمة كان يمكن أن تتكرر وتؤدي إلى أسوأ النتائج على حياتهما الزوجية، لولا وفاة خالها «رتشارد» التي جاءت في وقتها المناسب.

ولكن ما هذا الذي سمعته؟

هذا صوت أنين بغير شك.

أنين أو حشرجة خافتة.. شخص ما يتوجع! شخص يحتضر!

همست «سوزان» لنفسها:

- لا يجب أن أستسلم للتصورات!... لا يجب!... لا يجب.
لكن الصوت عاد مرة أخرى.. أقوى هذه المرة.. هناك شخص يتوجع من شدة الألم!
وأضاءت «سوزان» النور.. وجلست في الفراش وراحت تنصت.
كان الأنين صوتاً حقيقياً، وسمعته ينفذ من خلال الحائط... آتياً من الغرفة المجاورة.
وثبت «سوزان» من الفراش، وألقت رداء فوق كتفيها، واتجهت إلى الباب... وخرجت إلى الردهة حيث طرقت باب غرفة مس «جيلكريست» برهة، ثم دخلت.

كان النور مضاء في الغرفة... وكانت مس «جيلكريست» جالسة في الفراش... وبدت ممتقعة الوجه، تتقلص سحنتها من شدة الألم.
هتفت «سوزان»:
- ماذا جرى يا مس «جيلكريست»؟ هل بك مرض؟
- نعم.. لا أعرف ما هو... إنني..
وحاولت أن تنزل من الفراش، ولكن تملكتها نوبة قيء، ثم هوت فوق الوسائد... وغمغمت:
- من فضلك اطلبي الدكتور بالتليفون!.. لا بد أنني أكلت شيئاً!
- سأحضر لك شيئاً من بيكربونات الصودا... ويمكننا استدعاء الطبيب في الصباح إذا لم تتحسني.
- لا..!.. اطلبي الدكتور الآن! إنني أشعر.. أن حالتي فظيعة!
وذكرت مس «جيلكريست» رقم التليفون..
ورد على «سوزان» صوت يغلبه النعاس:

ـ من؟ «جيلكريست»؟ في «ميدزلين»؟ نعم.. أعرف العنوان.. سأحضر حالاً.

وكان الطبيب عند وعده.. فلم تمض عشر دقائق حتى سمعت «سوزان» سيارته تقف في الخارج.. فذهبت وفتحت الباب.

وشرحت الحالة للطبيب وهي تصعد معه، وقالت:

ـ لا بد أنها أكلت شيئاً لم تحتمله معدتها.. لكن حالتها سيئة جداً...

وكانت تبدو على الطبيب دلائل الغيظ المكظوم لظنه أنه أوقظ من نومه ليلاً دون داع قوي كما يحدث أحياناً... ولكن ما إن فرغ من فحص المرأة حتى تغيرت حالته.. فأصدر إلى «سوزان» تعليمات موجزة ثم أسرع بالنزول إلى مكان التليفون.. وعندما انضم إلى «سوزان» في غرفة الجلوس قال لها:

ـ إنني طلبت إرسال سيارة الإسعاف.. لا بد من نقلها إلى المستشفى.

ـ حالتها سيئة إذن؟

ـ نعم... إنني أعطيتها حقنة مورفين لتخفيف الألم.. لكن يظهر..

وقطع كلامه.. ثم أضاف قائلاً:

ـ ما الذي أكلته؟

ـ إننا تناولنا (إسباجتي) في العشاء، مع مهلبية.. ثم القهوة فيما بعد..

ـ هل أكلتما من نفس الطعام؟

ـ نعم..

ـ وأنت بخير؟ لا ألم ولا تعب؟

ـ لا.

ـ ألم تتناول شيئاً آخر، سمك معلب، أو سجق؟

ـ لا . . إننا تناولنا الغداء في فندق «كنجز آرمز» . . بعد التحقيق . . .

وجاءت سيارة الإسعاف . . فنقلت مس «جيلكريست» ، ورافقها الطبيب . . وقد أبلغ «سوزان» قبل ذهابه أنه سوف يتصل بها تليفونياً في الصباح .

وبعد ذهابه صعدت «سوزان» إلى غرفة النوم . . . وفي هذه المرة لم تكد تضع رأسها على الوسادة حتى استغرقت في النوم .

ـ ٢ ـ

شيعت جنازة مسز «كورا لانكنير» . . واشترك فيها معظم أهل القرية . . وكانت «سوزان» والمحامي «أنتويسل» هما الوحيدان بالنيابة عن أسرة القتيلة . . ولما سألها المحامي عن مس «جيلكريست» شرحت له الظروف بعبارات سريعة هامسة . . فلم يتمالك «أنتويسل» أن رفع حاجبيه قائلاً :

ـ هذا حادث غريب!

ـ آه! . إن حالتها تحسنت صباح اليوم ، كما علمت من المستشفى . . الناس عرضة لمثل هذه النزلات المعوية ، ولكن بعضهم يجسمها .

فلم يقل المحامي كلاماً آخر . . وكان مقرراً أن يعود إلى «لندن» بعد الجنازة مباشرة .

وعادت «سوزان» إلى الفيللا . . صعدت إلى غرفة «كورا» وأخذت تفحص أوراق القتيلة وترتبها .

وقطع عليها هذا العمل حضور الطبيب . .

كانت تبدو عليه دلائل القلق . . وقد رد على استفهام «سوزان» بأن مسز «جيلكريست» تحسنت . . وقال لها :

ـ سوف تغادر المستشفى بعد يومين . . لكن كان من حسن الحظ أنني دعيت في الحال . . ولولا ذلك لكانت العواقب وخيمة .

ـ هل كانت حالتها سيئة إلى هذا الحد؟
ـ يا مسز «بانكس».. أرجو أن تخبريني مرة ثانية عن كل ما أكلته وشربته مسز «جيلكريست» أمس.. كل شيء.
فوصفت له «سوزان» ما أراد وصفاً دقيقاً.. ولكن الطبيب هز رأسه غير مرتاح وقال:
ـ لا بد أن هناك شيئاً أكلته هي ولم تأكليه أنت؟
ـ لا أظن.. كعك.. مربى.. شاي.. ثم العشاء.. لا.. لا يمكنني أن أتذكر شيئاً آخر.
فحك الطبيب أنفه وأخذ يتمشى في الغرفة جيئة وذهاباً.
فقالت «سوزان»:
ـ هل هو بالتأكيد شيء أكلته؟ أهو تسمم غذائي قطعاً؟
فصوب إليها الطبيب نظرة حادة.. وما لبث أن حزم أمره، فقال لها:
ـ هو تسمم بالزرنيخ.
ـ زرنيخ؟ تعني أن أحداً دس لها الزرنيخ؟
ـ هذا هو ما يبدو.
ـ أيمكن أن تكون هي التي تناولته؟ عمداً، أقصد؟
ـ تقصدين الانتحار؟ إنها نفت هذا.. وفضلاً عن ذلك فلو كانت تريد الانتحار لما اختارت الزرنيخ.. هناك أقراص منومة في المنزل.. وكان بوسعها تناول كمية كبيرة.
ـ هل يمكن أن يكون الزرنيخ قد انتقل إلى شيء مصادفة؟
ـ هذا ما كنت أسأل نفسي عنه، وإن كان هذا الاحتمال بعيداً، رغم أن هناك حالات من هذا القبيل.. لكن إذا كنت أنت وهي أكلتما نفس الطعام..
وفجأة شهقت «سوزان»، قائلة:
ـ آه! نعم! هناك كعكة الزفاف!

ـ كعكة الزفاف؟

ـ فشرحت له «سوزان» ما حدث.. فأصغى إليها الطبيب بعناية، ثم قال:

ـ غريب! وتقولين إنها لم تكن متأكدة من شخصية مرسل الكعكة؟ هل بقي منها هناك شيء؟ هل العلبة التي أرسلت فيها موجودة؟

وقاما للبحث معاً.. وفي النهاية عثرا على العلبة البيضاء فوق طاولة المطبخ وبها فتات من الكعكة.. وأسرع الطبيب فحزم العلبة بعناية، قائلا:

ـ سأتولى أمر هذه العلبة.. هل عندك فكرة أين وضعت غلاف الورق الذي لفت به العلبة؟

وفي هذه المحاولة لم يصادفهما التوفيق.. وقالت «سوزان» إنه ربما ألقي به في الموقد.. وقال لها الطبيب بلهجة استغربتها:

ـ لا أظنك ستسافرين من هنا الآن يا مسز «بانكس»؟

ـ لا.. سوف أقوم بفحص مخلفات خالتي.. سأبقى هنا بضعة أيام.

ـ جميل.. تعلمين أن البوليس قد يحتاج إلى توجيه بعض الأسئلة.. ألا تعرفين أي إنسان ربما كان يريد... تدبير هذا العمل لمس «جيلكريست»؟

ـ في الحقيقة أنا لا أعرف عنها الكثير.. كل ما أعرفه أنها كانت مع خالتي بضع سنوات.

وانصرف الطبيب. وشيعته «سوزان» إلى الباب ثم أحست بأن جو الفيللا حار فتركت الباب مفتوحاً، وصعدت متمهلة إلى غرفة النوم لاستئناف مهمتها.

لم تكن «كورا لانكنير» دقيقة في ترتيب أوراقها وأدواتها وكان أكثرها صوراً فوتوغرافية قديمة وكراسات رسم.. ولكن رسالة واحدة

من بين الرسائل العديدة استرعت نظر «سوزان»، فقرأتها مرتين، وكانت لا تزال تحدق في سطورها عندما سمعت خلفها صوتاً يخاطبها جعلها تصرخ منزعجة برغمها. كان صاحب الصوت يقول:

ـ وما الذي عثرت عليه هنا يا «سوزان»؟ آه! ماذا جرى؟

احمرَّ وجه «سوزان» استياءً.. إن صرخة الانزعاج التي بدرت منها برغمها جعلتها تشعر بالخجل.. وقالت تفسر ما اعتراها:

ـ «جورج»؟ شد ما أفزعتني!

فقال «جورج كروسفيلد» ابن خالتها باسماً:

ـ هذا ما يبدو.

ـ كيف دخلت إلى هنا؟

ـ كان الباب الخارجي مفتوحاً، هكذا دخلت.. ولما لم أجد أحداً أمامي في الطابق الأرضي، صعدت إلى هنا.. أما إذا كان قصدك من السؤال هو كيف جئت إلى هذا الجزء من العالم، فأقول إنني بدأت رحلتي صباح اليوم لحضور الجنازة.

ـ لم أرك بين المشيعين.

ـ إن سيارتي القديمة أفسدت خطتي.. لقد تعطلت في الطريق.. ولما تمكنت من إصلاحها كان موعد الجنازة قد فات.. لكن بدا لي أنه لا بأس من مجيئي إلى هنا.. كنت أعرف أنك موجودة.

وتوقف ثم أضاف قائلاً؟

ـ في الحقيقة أنني اتصلت بكم تليفونياً.. فأخبرني «جريجوري» أنك جئت إلى هنا لوضع اليد ـ فخطر لي أن أقدم مساعداتي.

فقالت «سوزان»:

ـ ألا يحتاجون إليك في محل عملك؟ أو أنه يمكنك التغيب أياماً كيفما تحب؟

ـ إن الجنازة دائماً عذر معترف به للتغيب.. وهذه الجنازة حقيقية بما لا يدع مجالاً لأي شك..

راحت «سوزان» تنظر إلى «جورج» متأملة.. إنها لم تشاهد كثيراً ابن الخالة هذا، وفي المرات التي قابلته فيها كانت تجد صعوبة في فهم نفسيته.. قالت له:

ـ لماذا جئت إلى هنا حقيقة يا «جورج»؟

ـ ربما جئت لكي أقوم بعمل بوليس سري! إنني فكرت كثيراً في أمر الجنازة السابقة التي حضرناها معاً، وفيما قالته «كورا» يومها.. وجعلت أفكر هل كانت تلك الكلمات الغريبة التي قالتها هي من نوع الثرثرة الفارغة التي لا معنى لها أم أنها تستند إلى أساس.. ترى ما الذي تضمنته هذه الرسالة التي رأيتك تقرئينها بإمعان عند دخولي؟

ـ هي رسالة كتبها خالي «رتشارد» إلى «كورا» بعد مجيئه إلى هنا لزيارتها.

ـ وهل فيها شيء مهم؟

ـ لا.. ليس تماماً؟

ـ أيمكن أن أراها؟

فترددت «سوزان» برهة، ولم تلبث أن وضعت الرسالة في يده الممدودة.. وجعل يقرأها بصوت منخفض وهو يمر ببعض عباراتها سريعاً:

«سررت برؤيتك بعد كل هذه السنوات.. رأيتك بخير.. عدت إلى البيت بعد رحلة طيبة، ولم أتعب كثيراً».

ولم يلبث صوته أن تغير فجأة، وبدت فيه حدة وهو يقرأ:

«أرجوك ألاّ تقولي شيئاً لأي إنسان بشأن ما قلته لك.. قد تكون المسألة خطأ.. أخوك المحب، «ريتشارد»».

وتطلع «جورج» إلى «سوزان» قائلاً:

ما معنى هذا؟

ـ إنه يحتمل أي معنى.. قد تكون المسألة خاصة بصحته.. أو مجرد أقاويل تتصل بصديق مشترك.

ـ نعم.. إنها تحتمل معاني كثيرة.. إنها غير قاطعة.. لكن لها دلالات.. ما الذي قاله لـ«كورا»؟ هل يعرف أحد ماذا قال لها؟

فقالت «سوزان» ساهمة:

ـ مس «جيلكريست» قد تعرف.. أظنها كانت تستمع لما دار بينهما.

ـ آه.. نعم.. مرافقة «كورا».. وأين هي، بهذه المناسبة؟

ـ في المستشفى.. مصابة بتسمم من الزرنيخ.

فحملق «جورج» قائلاً:

ـ أتقولين حقاً؟

ـ نعم.. إن أحدهم أرسل إليها كعكة زفاف مسممة.

فلم يتمالك «جورج» أن جلس على أحد المقاعد المجاورة للفراش وصفر قائلاً: يا إلهي!! ما معنى هذا..

في صباح اليوم التالي جاء مفتش البوليس «مورتن» إلى الفيللا.

كان رجلاً هادئاً في متوسط العمر، ولكن نظراته كانت تنم عن الدهاء.. وقال مخاطباً «سوزان»:

ـ لا شك أنك أحطت بظروف الموضوع يا مسز «بانكس».. وقد أخبرك الدكتور «بروكتور» بمسألة مس «جيلكريست».. إن الفتات الذي كان باقياً من كعكة الزفاف تم تحليله، وكشف عن وجود آثار سم الزرنيخ.

ـ إذن فقد أراد شخص ما أن يسممها عمداً؟

ـ هذا هو ما يبدو.. إن مس «جيلكريست» نفسها غير قادرة فيما يظهر على مساعدتنا.. إنها تكرر القول بأن الحكاية مستحيلة، وأنه لا يوجد أحد يمكن أن يفعل معها شيئاً كهذا.. لكن هناك من فعل.. ألا يمكنك إلقاء أضواء على المسألة؟

فهزت «سوزان» رأسها قائلة:

ـ إنني عاجزة تماماً.. ألا يمكنك أن تعرف شيئاً من ختم

البريد؟ ومن الخط الذي كتب به العنوان؟

ـ أنت نسيت فيما يظهر. . فإن غلاف العلبة أحرق في الغالب. . وهناك شك فيها إذا كانت العلبة قد أرسلت عن طريق البريد أم لا. . إن «أندروز» سائق عربة البريد لا يمكنه أن يتذكر أنه وزع هذه العلبة فعلاً. . إن منطقة توزيعه واسعة، ولا يمكنه أن يجزم بشيء. .

ـ ولكن ما البديل لهذا؟

ـ البديل يا مسز «بانكس» أنه قد استعملت ورقة لف قديمة كان عليها إسم وعنوان مس «جيلكريست» أو خاتم بريد سابق، وأن العلبة قد حشرت في صندوق البريد أو ألقيت باليد خلف الباب لكي تخلق الانطباع بأنها جاءت بالبريد.

ثم أضاف يقول بلهجته العملية:

ـ هي فكرة بارعة تماماً. . أعني اختيار كعكة الزفاف. . إن النساء متوسطات الأعمار الوحيدات في الحياة لهن عاطفة ناحية كعكة الزفاف، ويسرهن أن يجدن من يتذكرهن. ولو أرسلت بدلها علبة من الحلوى فربما كانت تثير الشبهة.

ـ صدقت. . فإن مس «جيلكريست» بدت فعلاً مسرورة جداً بالهدية. . هل كان في الكعكة سم يكفي. . للقتل؟

ـ من الصعب أن نتبين هذا حتى يتم التحليل الكامل. . . والمسألة تتوقف على ما إذا كانت مس «جيلكريست» قد أكلت الكعكة كلها. . هل يمكنك أن تتذكري؟

ـ لا. . لست متأكدة. . إنها عرضت علي قطعة منها وأنا رفضت، فأكلت جزءاً منها وقالت إنها لذيذة، ولكنني لا أتذكر إن كانت أكلتها كلها أم لا. .

ـ أود أن أصعد إلى الدور العلوي يا مسز «بانكس» إذا لم يكن هناك مانع.

ـ طبعاً لا يوجد أي مانع.
وتبعته إلى غرفة مس «جيلكريست» وهي تقول معتذرة:
ـ أنا آسفة لأن الغرفة في حالة فوضى.. لكنني لم أجد وقتاً لتنظيفها بسبب موعد الجنازة والمشاغل الأخرى.. وبعد ذلك عندما جاء الدكتور «بروكتور» رأيت أنه ربما كان من الأنسب أن أترك الغرفة على حالتها.
فقال المفتش «مورتون»:
ـ كان هذا بعد نظر منك يا مسز «بانكس».. ليس كل إنسان على مثل هذا الذكاء.
واقترب من الفراش ودس يده تحت الوسادة وأخرجها باحتراس وقد شاعت في وجهه ابتسامة بطيئة.. وقال:
ـ هذا هو المطلوب!
ووضع فوق الملاءة قطعة من كعكة الزفاف..
فقالت «سوزان»:
ـ يا للغرابة!
ـ لا غرابة ولا شيء.. ربما كان جيلك أنت لا يفعل هذا.. إن فتيات جيلك لا يعولن كل التعويل على الزواج.. لكن هذه عادة قديمة.. تضع الفتاة قطعة من كعكة الزفاف تحت وسادتها، ثم تحلم بعريس المستقبل!
ـ لكن من المؤكد أن مس «جيلكريست»..
ـ إنها لم تخبرنا لأنها شعرت بسذاجتها وهي تفعل ذلك في سنها هذا.. لكني فكرت في مثل هذا الاحتمال...
ثم علت وجهه مسحة الجد وهو يضيف قائلاً:
ـ ولولا سذاجة هذه المرأة العانس لما كتب لها أن تبقى على قيد الحياة.
ـ لكن من هذا الذي يحتمل أن يسعى لقتلها.

ـ ألا تعرفين؟

فتلاقت عيناه بعينيها في نظرة فاحصة غريبة أشعرتها بالحرج، وقالت:

ـ لا.. طبعاً لا أعرف!

فقال مفتش البوليس بإيجاز:

ـ يبدو إذن أنه لا بد لنا من متابعة البحث والتحري!

الفصل الحادي عشر

جلس رجلان متقدمان في السن معاً في غرفة كان كل أثاثها من الطراز الحديث.. كان كل شيء في الغرفة مربعاً لا استدارة فيه.. الاستدارة الوحيدة كانت في شخص «هركيول بوارو».. كان بطنه.. وكان شارباه يبرزان في استدارة علوية متموجة.. دائرياً.. وكان رأسه يشبه البيضة في استدارته.

جلس «بوارو» يرتشف شرابه المفضل وهو يتأمل مفكراً في ضيفه مستر «جوبي».

كان مستر «جوبي» ضئيل الجسم منكمشاً على نفسه حتى ليتعذر وصفه إذ لم يكن فيه ما يوصف.. وفي حديثه إلى «بوارو» لم يكن ينظر إليه مباشرة، إذ لم يكن من عادته أن ينظر إلى أي شخص وهو يتكلم وإنما كان يركز نظراته على المدفأة.

وكان مستر «جوبي» مشهوراً بتخصصه في الحصول على المعلومات.. ولم يكن يعرفه سوى قلة من الناس.. وكان الذين يستعينون بخدماته قليلين.. ولكن هؤلاء القليلين كانوا عادة من كبار الأغنياء.. ولا بد أن يكونوا كذلك، لأن مستر «جوبي» كان رجلاً كبير الأجر فادح الثمن.. وكان تخصصه هو جمع المعلومات بكل سرعة كما تقدم.. فبإشارة من يده كان ينطلق عشرات من الرجال والنساء، شيوخاً وشباباً، رجالاً ونساء، من كافة المهن والمراكز في الحياة، للسؤال والتحري، للبحث والاستقصاء، ثم يقدمون إليه خلاصة ما يجمعونه من معلومات..

كان مستر «جوبي» يقول لـ«بوارو»:

ـ إنني فعلت كل ما استطعت لأجلك.. إنني أطلقت (الأولاد) في عملية البحث والتحري.. وقد فعلوا كل ما استطاعوا، وبذلوا غاية جهودهم.

وأخرج من جيبه مفكرة صغيرة عتيقة، وأخذ يقلب صفحاتها قائلاً:

ـ إليك البيانات التي توصلوا إليها.. لنبدأ بمستر «جورج كروسفيلد».. إنه يهوى المقامرة، خصوصاً المراهنة على سباق الخيل.. وهو ليس من العشاق المتيمين بالنساء... إنه يذهب إلى «فرنسا» بين وقت وآخر، خصوصاً «مونت كارلو» حيث يمضي كثيراً من وقته في نادي القمار.. ويكون في حوزته أحياناً أكثر من المبالغ المسموح له أن يسافر بها.. إنني لم أبحث هذه النقطة بالتفصيل، لأنها لم تكن هي ما تريده، ولكنه لا يتورع عن مخالفة القانون.. وبسبب اشتغاله في أحد المكاتب القضائية فإن له خبرة في هذه الأمور.. وهناك شواهد على أنه انغمس في العهد الأخير في المضاربة في البورصة مستغلاً بعض الأموال الموجودة في عهدته..

ولكن الحظ لم يحالفه في الشهور الثلاثة الأخيرة، حتى شوهد في المكتب وهو أقرب إلى السخط.. ولكن بعد وفاة خاله تغير كل هذا، وأصبح منتعشاً متفائلاً.

«أما عن واقعة وجوده في ملعب «هورست بارك» لسباق الخيل في ذلك اليوم، فقد ثبت أن الواقعة مكذوبة.. فلم يره أحد هناك في ذلك اليوم، والغالب أنه راهن في مكتب من المكاتب الخارجية التابعة للملعب.. ولم يثبت من التحريات أنه وصل إلى محطة سكة حديد «تشولي»، وهي أقرب محطة إلى قرية «ليتشت سانت ماري».. إن الأغراب يعرفون بسهولة في هذه المحطات الصغيرة.. وربما نزل في محطة مزدحمة وركب الأتوبيس.. فسيارات الأتوبيس تكون مزدحمة

غالباً، وهناك طرق كثيرة تؤدي إلى «ليتشت سانت ماري».. هناك طريق تؤدي إلى هذه القرية مباشرة، ولكن لم يشاهده أحد في «ليتشت سانت ماري»، لكن لم يكن من الصعب أن يذهب إلى القرية دون أن يراه أحد.. وإذا صح أنه ذهب إلى الفيللا فعلاً، فلم يكن من الصعب أن يغير شكله بحيث لا يبدو في هيئة «جورج كروسفيلد» المعتادة.. سوف أبقيه فترة تحت الملاحظة إذا لم يكن عندك مانع يا مسيو «بوارو»..

فقال بوارو»: لك أن تفعل ذلك.

فبلل مستر «جوبي» أصبعه وقلب صفحة أخرى في المفكرة واستطرد يقول:

- عن مستر «مايكل شان».. إنه معروف في دوائر المسرح.. وهو يبالغ في تقدير مواهبه الفنية.. إنه يريد أن يصبح من نجوم المسرح بكل سرعة.. وهو يحب المال وينفق عن سعة.. وله جاذبية لدى النساء، وهو يقابل ممثلة تدعى سوريل ديتتون» كانت تمثل الدور الأول في المسرحية الاستعراضية التي اشترك فيها أخيراً.. وزوجها لا يحبه كثيراً.. وزوجته «روزاموند» لا تعرف شيئا عن علاقته بتلك الممثلة.. و«روزاموند» نفسها تهوى التمثيل، لكنها ليست ممثلة حقيقية.. وكانت هناك إشاعة عن حدوث شقاق بينهما منذ فترة ليست بعيدة.. لكن يبدو أن هذا الخلاف انتهى الآن وسوي أمره.. سوي منذ وفاة مستر «رتشارد أبرناثي».

قال مستر «جوبي» عبارته الأخيرة وهو يضغط على كلماتها.. ثم استطرد يقول:

- في اليوم الذي قتلت فيه مسز «كورا»، يقول مستر «مايكل شان» إنه قابل مستر «روزنهايم» ومستر «أوسكار لويس» للاتفاق بشأن مسرحية جديدة.. إنه لم يقابلهما.. أرسل إليهما برقية أعرب فيها عن أسفه لاضطراره إلى التخلف عن الموعد.. أما الذي فعله في

الواقع فهو أنه ذهب إلى شركة سيارات «ايميرالدو» لتأجير السيارات واستأجر سيارة حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً وذهب بها.. ثم عاد حوالي الساعة السادسة مساء.. وبفحص عداد السرعة يبدو أنه قطع بالسيارة ما يقرب من عدد الأميال التي نبحث عنها ـ ولم يرد تأكيد لرؤية أحد له في قرية «ليتشت سانت ماري».. لم يشاهدوا سيارة غريبة هناك في ذلك اليوم، وإن كان من الممكن ترك السيارة في أكثر من مكان على مسافة ميل أو حوالي ذلك.. ثم هناك محجر قديم على بعد مئات قليلة من الياردات من الحارة التي بها الفيللا.. وهناك ثلاثة بلدان صغيرة من حول القرية يمكنك أن تترك سيارتك في أحد شوارعها الجانبية دون أن يهتم بك البوليس.. هل نبقي مستر «مايكل شان» تحت الملاحظة؟

ـ بكل تأكيد يا مستر «جوبي».

ـ والآن نتكلم عن مسز «شان»، أو «روزاموند» سابقاً.. قالت إنها خرجت إلى السوق في ذلك اليوم.. وطبيعي أن تفعل هذا بعد أن عرفت في اليوم السابق أنها ستنال نصيبها من التركة.. وقد دلت التحريات على أن حسابها في البنك كان منتهياً في الفترة الماضية.. وقد أرسلت في أثرها واحدة من فتياتي الخبيرات بشئون المسرح واستدرجتها بطريقتها الخاصة لمعرفة ما فعلته بالضبط في ذلك اليوم.. ولكن مسز «شان» كانت من النوع الغامض الذي لا يؤكد ولا ينفي شيئاً. ماذا تفعل مع امرأة كهذه؟

فأجاب «بوارو» بانفعال:

ـ لا شيء.. إنني عرفت نساء من هذا النوع.. لا بأس.. استمر..

ومرة أخرى راجع مستر «جوبي» مفكرته، وأخذ يقول:

ـ عن مستر ومسز «جريجوري بانكس»، اللذين قالا إنهما لازما البيت طول النهار.. إن «سوزان» لم تلزم البيت في الحقيقة.. إنها

ذهبت إلى الجـراج وأخرجت سيارتها وقادتها حوالي الساعة الواحدة.. ولم تعرف وجهتها.. وعادت حوالي الساعة الخامسة.. ولم يعرف من العداد المسافة التي قطعتها، ولم يهتم أحد في الجراج بأن يعرف.

«أما عن مستر «جريجوري بانكس» فقد اكتشفنا أشياء غريبة.. سأعترف أولاً أننا لم نتوصل إلى معرفة ما فعله في اليوم المذكور.. لكنه لم يذهب إلى عمله.. والظاهر أنه طلب إجازة ليومين بسبب الجنازة.. ومنذ ذلك الحين انقطع عن عمله، دون اهتمام بمراعاة شعور أصحاب الصيدلية الكبيرة التي يعمل فيها.. وهم بدورهم غير متحمسين بخصوصه.. والظاهر أنه كانت له أطوار غريبة.

وعلى أي حال فإننا كما قلت لم نعرف ماذا فعل في اليوم الذي قتلت فيه مسز «لانكنير».. إنه لم يخرج مع زوجته.. ويحتمل أنه بقي في شقتهما الصغيرة طول النهار.. ليس في العمارة السكنية بواب، ولا يعرف إذا كان السكان موجودين أو غير مـوجودين.. لكن تـاريخه الماضي يثير الاهتمام.. فمنذ حوالي أربعة أشهر، أي قبيل تعـرفه بزوجته، كان في إحدى المصحات العقلية.. لم يكن به مرض عقلي بالمعنى المفهوم ولكنه نوع من الانهيار العصبي.. والظاهر أنه أخطأ في تـركيب دواء لمريضـة.. وقد شفيت المـريضـة، واعتـذر أصحـاب الصيدلية، ولم ترفع الدعوى ضده.. إن الصيدلية لم تفصله ولكنه استقال، وأدى الحادث إلى تحطم أعصابه وقتها.

والغريب أنه قال في المصحة للطبيب المعالج إنه تعمد الخطأ في تركيب الدواء، فقد أهانته المرأة في مرة سابقة واتهمته بأنه أهمل في تركيب دواء لها، فاغتاظ منها، وتعمد أن يدس لها في الدواء الجديد مادة خطرة المفعول، وكان تعليله لذلك أنه أراد معاقبتها لإهانتها له.. وعلى أي حال فإنه عولج في تلك المصحة العقلية وأخرج منها باعتباره قد شفي، والتقى وقتها بمس «أبرناثي» لقاء أدى إلى الزواج.. وتمكن من الالتحاق بالصيدلية التي يعمل فيها حالياً بعد أن ذكر أنه أمضى

فترة خارج «انجلترا».. ولم يؤخذ على تصرفاته شيء في هذه الصيدلية، ولكن أحد زملائه قال إن له طباعاً غريبة تبدو آثارها في تصرفاته أحياناً.. وقد أشاروا في هذه المناسبة إلى قصة زبون للصيدلية قال له يوماً مداعباً: «ليتك تصف لي شيئاً لتسميم زوجتي.. هاهاها!» فما كان من «جريجوري بانكس» إلاّ أن قال له بلهجة هادئة ناعمة: «بإمكاني هذا.. وهو يكلفك مائتي جنيه».. فشعر الرجل بالحرج، وصرف الموضوع على أنه مداعبة.. وربما تكون المسألة مداعبة فعلاً، لكن في رأيي يا مستر «بوارو» أن «جريجوري بانكس» ليس من نوع أصحاب المداعبات.

فقال «بوارو»:

- إن ما يدهشني فيك يا صديقي هو مقدرتك على استقاء المعلومات، ومعظمها طيبة وأسرار شخصية!

فغمغم مستر «جوبي» وهو يدير نظره في أرجاء الغرفة أن له أساليبه الخاصة.. ثم استتبع يقول:

- والآن ننتقل إلى أصحابنا أهل الريف.. مستر «ثيموذي» وزوجته «مود»... إنهما يقيمان في بيت خاص أنفقا عليه كثيراً.. وحالتهما المالية متعبة بسبب الضرائب وسوء الحظ في سوق الأوراق المالية.. ومستر «تيموذي» (يتمتع) بحالته الصحية المعتلة.. وأقول (يتمتع) لأنه سليم البنية ويأكل بشهية، ولكنه يحب أن يجري الكل من حوله ويبالغوا في الاهتمام به ويلبوا طلباته.. وليس في البيت خدم سوى امرأة تعمل نهاراً، وهو لا يسمح لأحد بالدخول إلى غرفته إلاّ بعد أن يدق الجرس.. وكانت حالته النفسية سيئة صباح اليوم التالي للجنازة.. وقد بقي وحده في البيت ولم يشاهده أحد من الساعة ٩,٣٠ حتى صباح اليوم التالي.

- وأخبار زوجته «مود»؟

- إنها انصرفت بالسيارة من قصر «أندربي» في الوقت الذي

ذكرته أنت. . وبعد ذلك وصلت سيراً على القدم إلى جراج صغير في جهة «كاشتون» وقالت إن سيارتها تعطلت على مسافة ميلين. . فذهبت مع الميكانيكي في سيارته، وبعد أن فحص سيارتها قال إنه لا بد من قطرها إلى الجراج وإن عملية الإصلاح قد تستغرق النهار بطوله. . فاستاءت السيدة كثيراً، ولكنها ذهبت إلى فندق صغير ورنبت على أن تبيت ليلتها فيه، ثم طلبت بعض الشطائر قائلة إنها تود مشاهدة المنطقة الريفية المجاورة. . ولم تعد إلى الفندق إلاَّ في وقت متأخر جداً في ذلك المساء.

ـ ورأيك في توقيت خطواتها؟

ـ إنها أخذت الشطائر في الساعة الحادية عشرة. . وإذا كانت قد خرجت إلى الطريق الرئيسية فقد كان بإمكانها بعد مسيرة في المنطقة الريفية أن تستقل القطار المتجه إلى بلدة «ريدنج». . ولا أريد أن أتوسع في التفاصيل، لكن كان من الممكن إتمام (العملية)، إذا أراد أحد ارتكابها في فترة العصر.

فقال «بوارو» باهتمام لا يخلو من المرارة:

ـ هذا بديع! كل شيء مع أصحابنا ممكن، وجائز! يا إلهي! ألا يمكن أن نستبعد أحداً منهم من دائرة الشك والاشتباه؟ وما رأيك في «هيلين أبرناثي»، الأرملة.

ـ إنها سيدة رقيقة أيضاً. . . وكان «رتشارد أبرناثي» يحبها جداً. . وقد ذهبت للإقامة عنده لمدة أسبوعين قبل وفاته.

ـ منذ ذهابه إلى قرية «لتشت سانت ماري» لزيارة أخته؟

ـ لا. . قبل ذلك بفترة قصيرة. . أن إيرادها تناقص كثيراً منذ الحرب. . وقد باعت بيتها في «انجلترا» واستأجرت شقة صغيرة في «لندن». . ولها فيللا خاصة في جزيرة قبرص تمضي فيها شطراً من السنة. . وهناك شاب صغير من أبناء عمومتها تنفق عليه للمساعدة في

تعليمه، كما يوجد رسام شاب أو اثنان تساعدهما حالياً بين وقت وآخر.

فقال بوارو» مغمضاً عينيه:

ـ القديسة «هيلين» ملاك الرحمة والطاهرة السيرة! ولم تكن هناك أقل فرصة لاحتمال خروجها من قصر «أندربي» في ذلك اليوم بغير علم أحد من الخدم!.. قل هذا بالله! أتوسل إليك!

فغمغم مستر «جوبي» قائلا وهو يركز نظراته هذه المرة في حذاء «بوارو» اللامع:

ـ أنا آسف أن هذا ليس بإمكاني يا مسيو «بوارو».. إن السيدة «هيلين» الأرملة ذهبت يومها إلى «لندن» لاحضار ملابس أخرى لها بعد اتفاقها مع مستر «أنتويسل» محامي العائلة على البقاء في القصر مدة للإشراف على ما يلزم.

فقال «بوارو» بانفعال شديد:

ـ لم يكن ينقص إلاّ هذا!..

الفصل الثاني عشر

عندما رأى «هركيول بوارو» الزيارة التي تحمل اسم المفتش «مورتون» التابع لبوليس مقاطعة «يوركشير»، قال لخادمه:

- أدخله يا «جورج».. دعه يتفضل..

والواقع أن المفتش «مورتون» طرق صميم الموضوع في الحال، قائلاً:

- إنني جئت إلى «لندن» وعرفت عنوانك يا مسيو «بوارو».. فقد أثار اهتمامي رؤيتي لك في جلسة التحقيق الرسمي يوم الخميس؟

- إذن فقد رأيتني هناك؟

- نعم.. وقد أدهشني ذلك، وأثار اهتمامي كما قلت.. أنت لا تتذكرني.. ولكنني أتذكرك جيداً.. في قضية «يانجبورن».

- آه.. هل كان لك اتصال بتلك القضية؟

- إلى حد ما.. وقد مضى وقت طويل على القضية، ولكنني لم أنس شخصيتك.

- وهل عرفتني في الحال في جلسة التحقيق الأخيرة؟

فأجاب المفتش «مورتون» وهو يكتم ابتسامة يسيرة؟

- لم يكن هذا بالمسألة الصعبة يا سيدي.. فإن هيئتك.. غير عادية..

وهناك تطورات جديدة حدثت في القضية يا مسيو «بوارو».

وتحدث المفتش بالتفصيل عن حادث كعكة الزفاف المسمومة.. فتنفس بوارو» من أعماق صدره، قائلاً:

ـ رائع! نعم، رائع! إنني حذرت مستر «أنتويسل» المحامي لكي يهتم برعاية مس «جيلكريست».. إن اعتداء يقع عليها كان دائماً شيئاً محتملاً.. لكن لا بد لي من الاعتراف بأنني لم أكن أتوقع السم.. كنت أتوقع أن تتكرر مسألة البلطة.. فكرت أنه قد لا يستصوب أن تسير وحدها في أزقة غير مطروقة بعد حلول الظلام.

ـ لكن لماذا كنت تتوقع أن تتعرض مس «جيلكريست» للاعتداء؟ أظن يا مسيو «بوارو» أنه يجدر بك أن تخبرني بهذا.

فأومأ «بوارو» إيجاباً وقال:

إن المسألة كلها بدأت في الجنازة.. أو بعبارة أدق بعد الجنازة..

وراح يسرد القصة كما سمعها من المحامي «أنتويسل».. وكان يذكر التفاصيل بدقة حتى ليخيل للسامع أنه كان شاهد عيان.. وقد استوعب المفتش «مورتون» كل شيء بذهنه الصافي المرتب.. وأخيراً قال:

ـ مستر «رتشارد أبرناثي» هذا، قد يكون مات مسموماً؟

ـ هذا محتمل.

ـ والجثة أحرقت وليس هناك دليل مادي يمكن الرجوع إليه؟

ـ بالضبط.

ـ جميل.. إذن لم يبق لنا ما يمكن أن نفعله.. أعني لم تبق فائدة من تحقيق البوليس في وفاة «رتشارد».. إن شيئاً كهذا يكون ضياعاً للوقت.

ـ صدقت يا مستر «مورتون».

ـ لكن لا يزال هناك أمامنا (الأشخاص).. الأشخاص الذين كانوا حاضرين.. الأشخاص الذين سمعوا «كورا لانكنير» تقول ما قالته، وواحد منهم بدا له أنها قد تقول كلامها مرة ثانية وبتفصيل أكثر.

ـ وهو ما كان لا بد أن تفعله بلا شك.. نعم يا مستر

«مورتون». . هناك (الأشخاص) كما قلت. . والآن لعلك أدركت لماذا حضرت أنا جلسة التحقيق الرسمي. . لماذا أبديت اهتماماً بالقضية. . ذلك لأنني دائماً أقصر اهتمامي على (الأشخاص).

- إذن فإن الاعتداء على مس «جيلكريست». .

- كان دائماً في حسابي. . إن «رتشارد أبرناثي» زار الفيللا. . وتحدث مع «كورا» وربما يكون قد ذكر فعلاً (اسماً) معيناً. . والشخص الوحيد الذي ربما يكون قد عرف أو سمع شيئاً هو مس «جيلكريست». . وبعد أن تم إسكات «كورا»، فإن القاتل قد يستمر في قلقه وانشغال باله. . سيسأل نفسه. . هل المرأة الأخرى تعرف شيئاً. . أي شيء؟ وبالطبع لو كان القاتل حكيماً لترك الموقف عند هذا الحد. . ولكن القتلة يا مستر «مورتون» نادراً ما يكونون من أهل الحكمة والسداد. . إنهم يقلقون ويهتمون. . إن الوساوس تتملكهم. . إنهم يحبون أن يتأكدوا ويطمئنوا تماماً. . إنهم واثقون من ذكائهم. . وهذا ما يجعلهم في النهاية يكشفون رؤسهم، ويقدمون رقابهم، كما تعرف.

كان المفتش «مورتون» يسمع هذا الكلام باسماً. . بينما استطرد «بوارو» قائلاً:

- إن هذه المحاولة التي جرت لإسكات مس «جيلكريست»، هي غلطة في الواقع. . فإنه توجد الآن واقعتان يمكنك أن تقوم بالتحري والتحقيق فيهما. . وهناك أيضاً الخط الذي كتب به عنوان علبة كعكة الزفاف. . من المؤسف أن الورق الذي غلفت به العلبة أحرق في الموقد.

- نعم. . ولولا ذلك لكان بإمكاني أن أتأكد مما إذا كانت العلبة قد جاءت بالبريد أو بغيره.

- فهمت منك أن لديك أسباباً تجعلك تظن أن الاحتمال الثاني هو الأقرب؟

ـ إنني لا أستند في هذا إلى ما يظنه موزع البريد فقط.. فهو غير واثق على كل حال.. لو أن الطرد جاء عن طريق بريد القرية، للاحظته وكيلة مكتب البريد.. لكن البريـد في هذه الأيـام يوزع بالسيارة التي تقوم من بلدة «ماكت كينز»، والسائق الموزع يقوم بدورة كبرى ويوزع بريداً كثيراً.. وهو يظن أنه قام بتوزيع خطابات فقط ولم يكن بينها طرد بعنوان الفيللا.. لكنه غير متأكد على أي حال.. والحقيقة أن الموزع الشاب واقع في ورطة غرامية ولا يمكنه أن يفكر في شيء غير ذلك.. إنني اختبرت ذاكرته ولم أجد كلامه مما يمكن التعويل عليه.. وإذا كان قد قام بتوزيع الطرد فعلاً، فمن الغريب أن يبقى الـطرد دون أن يلاحـظه أحد إلاّ بعـد أن جاء المـدعو. المـدعو «جوثري».

ـ آه.. مستر «جوثري».

ـ نعم يا مسيو «بوارو».. إننا نقوم بالتحـري في أمر هـذا الرجل.. وعلى أي حال فإنه من السهل أن يجيء إلى الفيللا بتلك الحكاية المعقولة عن كونه من أصدقاء مسز «لانكنير».. إن «سوزان بانكس» التي قابلته وقتها عند حضوره إلى الفيللا لم يكن بوسعها أن تعرف إن كان صديقاً لصاحبة الفيللا أو لم يكن.. وكان من السهل عليه ترك الطرد الصغير.. من السهل أن يجعل الإنسان طرداً كهذا وكأنه جاء بالبريد.. مجرد لطخة مفحمة فوق طابع بريد تجعله يبدو وكأنه مختوم بالبريد.

وتوقف المفتش برهة.. ثم أضاف قائلاً:

ـ وهناك أيضاً احتمالات أخرى.

ـ أنت تظن..؟

فأومأ «بوارو» قائلاً:

ـ إن مستر «جورج كروسفيلد» جاء إلى تلك الناحية.. لكن لم يكن حضوره قبل اليوم الثاني.. كان في نيته حضور الجنازة، ولكن

سيارته تعطلت في الطريق.. هل تعرف شيئاً عنه يا مسيو «بوارو»؟
ـ معلوماتي عنه قليلة.. إنها ليست كثيرة إلى الحد الذي أريده.
ـ أحقاً؟ ثم أنني فهمت أن أكثر من واحد من أفراد الأسرة كان مهتماً بوصية «رتشارد أبرناثي».. وأورجو ألَّا يكون معنى هذا أن تمتد تحرياتنا إليهم جميعاً.
ـ إنني يا مستر «مورتون» جمعت بعض المعلومات عنهم.. وهي تحت أمرك.. وطبيعي أنني لا أملك السلطة لاستجواب هؤلاء الأشخاص.. والحقيقة أنه ليس من الحكمة بالنسبة لي أن أفعل هذا.
ـ إنني سوف أتمهل في خطواتي.. وأنت تود ألَّا نزعج الطير من عشه بسرعة؟
ـ هذا أسلوب سليم كما ترى.. وإذن فإنني أترك لك جميع المعلومات التي حصلت عليها.. وسيكون الجهاز البوليسي الكبير خير معين لك في هذا الشأن.. إنها عملية بطيئة.. لكن نتيجتها مؤكدة.. أما عن نفسي..
ـ نعم يا مسيو «بوارو»؟
ـ أما عن نفسي فإني مسافر إلى المقاطعات الشمالية.. فكما قلت لك من قبل، إن (الأشخاص) هم الذين يثيرون اهتمامي.. نعم.. عملية تخفي بسيطة.. ثم أذهب إلى الشمال.
ثم أضاف «بوارو» بعد لحظة:
ـ في نيتي القيام بشراء قصر ريفي من أجل اللاجئين الأجانب.. سوف أكون ممثل هيئة «يوناركو».
ـ وما هيئة «يوناركو» هذه؟
ـ هي مختصر اسم «منظمة الأمم المتحدة لمساعدة مراكز اللاجئين».. إنه إسم رنان جذاب.. ألا ترى هذا؟
فلم يجب المفتش «مورتون» بأكثر من ابتسامة صغيرة.

الفصل الثالث عشر

كان يمكن أن يكتفي «هركيول بوارو» بالمعلومات التي جمعتها له «هيلين أبرناثي» على لسان خدم قصر «أندربي» عن حالة «رتشارد» في الأسابيع الأخيرة من حياته.

لكن «بوارو» بطبيعته وبحكم خبرته الطويلة لم يكن يثق في أي إنسان، حتى يجرب بنفسه ويستوثق هو شخصياً من صدق ما أبلغ إليه من معلومات.. إن مسألة قتل «رتشارد أبرناثي» لا يمكن إلاَّ أن تكون افتراضية.. وإنما جريمة قتل «كورا لانكنير» هي التي كانت بحاجة إلى الدليل.. وما كان يريده «بوارو» هو أن يدرس الأشخاص الذين اجتمعوا في مناسبة الجنازة ذلك اليوم، وأن يستخلص لنفسه النتائج اللازمة عنهم.. وهو قد أعد خطة لهذا الغرض..

* * *

خرج «بوارو» إلى شرفة القصر ملتفاً بمعطفه وكوفيته اتقاءً لبرد هذه المقاطعة الشمالية، وانضم إلى «هيلين أبرناثي» التي كانت تقطف بعض الأزهار.

سألته «هيلين»:

- هل وجدت شيئاً جديداً؟

فأجاب «بوارو»:

- لم أجد.. لكنني لم أكن أتوقع أن أجد شيئاً.

- هذا ما كنت أعرفه.. إنني منذ أن أخبرني المحامي «أنتويسل»

أنك قادم إلى هنا، جعلت أبحث عن أي شيء جديد يمكن أن أتوصل إليه.. لكن بلا فائدة.

وتوقفت برهة، ثم قالت بلهجة يشوبها الأمل:

- لعل المسألة كلها أوهام في أوهام؟

- هل من الأوهام أن يقتل الإنسان ببلطة؟

- إنني لم أكن أفكر في «كورا».

- ولكنني أنا أفكر في كورا».. لماذا اضطر شخص ما إلى قتلها؟ إن المحامي «أنتويسل» أخبرني أنه عندما فاجأتكم «كورا» بكلماتها الغريبة، شعرت أنت لحظتها أن هناك شيئاً ما خاطئاً.. هل هذا صحيح؟

فمضى «بوارو» يقول بغير هوادة:

- إلى أي حد كان هذا الخطأ؟ هل كان شيئاً مفاجئاً؟ مثيراً للدهشة؟ مقلقاً، مخيفاً؟ أي وصف ينطبق عليه؟

- آه.. لا.. لم يكن شيئاً مخيفاً.. كان شيئاً لا يزيد عن.. آه.. لست أعرف. لا يمكنني أن أتذكر.. وهو لم يكن شيئاً هاماً..

- لكن لماذا لا يمكنك أن تتذكري؟ هل لأن شيئاً آخر أبعده من ذهنك.. شيئاً أكثر أهمية؟

- نعم.. نعم.. أظن أنك على صواب في هذا.. أعتقد أن ذكر عبارة (جريمة قتل) هو السبب.. إن الكلام في هذا أبعد من ذهني كل شيء.

- لعله كان رد الفعل الذي بدا من شخص بعينه عند ذكر عبارة (جريمة قتل)؟

- ربما.. لكنني لا أتذكر أنني كنت لحظتها أنظر إلى شخص معين بصفة خاصة.. كنا وقتها نحدق جميعاً بعيوننا إلى «كورا».

- ربما كان ذلك شيئاً سمعته.. ربما كان شيئاً سقط.. أو تحطم؟

فقطبت «هيلين» حاجبيها في محاولة للتذكر، وقال «بوارو»:

ـ لا بأس.. سوف تتذكرين يوماً ما.. وربما لم يكن للأمر أهمية.. والآن حدثيني يا سيدتي، مَنْ مِنَ الموجودين هنا يعرف «كورا» جيداً؟

فجعلت «هيلين» تتأمل برهة، ثم قالت:

ـ «لانسكوم» فيما أظن... إنه لا يتذكرها منذ كانت طفلة.. أما الخادمة «جانيت» فإنها جاءت بعد زواج «كورا» وذهابها من هنا.

ـ ومن غير «لانسكوم»؟

فأجابت «هيلين» بعد تفكير:

ـ أنا، فيما أظن.. إن «مود» زوجة «تيموذي» لم تعرفها قط.

ـ إذن، باعتبارك الشخص الوحيد الذي كان يعرفها جيداً، فلماذا، في رأيك، صدرت منها تلك الكلمات؟

فأجابت «هيلين» باسمة:

ـ كانت هذه طبيعة «كورا»!..

ـ إن ما أقصده هو: هل كان ذلك مجرد سذاجة وبلاهة؟ هل اندفعت تقول ما كان يدور في ذهنها دون تفكير؟ أما كانت سيئة القصد.. تتلذذ بتعكير صفو الجميع وتكدير خاطرهم؟

ففكرت «هيلين» قليلاً، ثم أجابت:

ـ لا يمكنك أن تحكم على إنسان بصفة قاطعة.. إنني لم أعرف قط إن كانت «كورا» حاذقة ماكرة، أو كانت تسعى، بنوع من التصرف الصبياني، إلى إحداث أي تأثير.. أليس هذا قصدك؟

ـ بلى.. كنت أفكر: لنفرض أن مسز «كورا» قالت لنفسها: «كم يكون طريفاً ومسلياً أن أسأل إذا كان «رتشارد» قد مات قتلاً وأنظر إلى التأثير في نفوسهم جميعاً!»

لو فعلت هذا لكان أقرب إلى طبيعتها، أليس كذلك؟
بدا الارتياب على «هيلين»، وأجابت:
- ربما كان ما تقول..
وعمد «بوارو» إلى تغيير الموضوع، فقال لها:
- إن مسز «تيموذي» كانت هنا في القصر في الليلة التالية للجنازة؟
- نعم.
- هل تكلمت معك بأي حال عما قالته «كورا»؟
- نعم.. قالت إن هذا كلام جنوني، وهو لا يستغرب من إنسانة مثل «كورا»!..
- ألم تحمل هذا الكلام محمل الجد؟
- آه.. لا.. لا.. أنا متأكدة من هذا.
- وأنت يا سيدتي، هل حملت هذا الكلام محمل الجد؟
فأجابت «هيلين» وهي تفكر ساهمة:
- نعم يا مسيو «بوارو».. إنني أخذت كلامها مأخذ الجد.
وساد الصمت بينهما إلى أن قال «بوارو»:
- إنني أريد يا سيدتي أن ألتقي بكل شخص كان هنا في يوم الجنازة.. وسوف يكون من دواعي الارتياح، بل من متطلبات الخطة، أن يتم هذا اللقاء هنا في القصر.
فقالت «هيلين»ببطء:
- أ... أخشى أن أقول إن هذا سيكون مسألة صعبة.
- لن تكون بالصعوبة التي تتصورينها.. إنني فكرت في الوسيلة سلفاً.. إن القصر معروض للبيع.. أو هذا هو ما سوف يقوله المحامي «أنتويسل».. ولذلك فإنه سيدعو مختلف أفراد الأسرة لكي يجتمعوا هنا ويختاروا ما يريدون من أثاث القصر قبل عرضه للبيع في المزاد.. ويمكن اختيار عطلة نهاية الأسبوع موعداً لهذا الغرض.

وتوقف «بوارو»، ثم أردف قائلاً:
- لعلك رأيت أنها مسألة سهلة جداً.
فرمقته «هيلين» بعينيها الصافيتي الزرقة بنظرة لا تخلو من برود، وقالت:
- هل تنصب فخاً لأحد ما يا مسيو «بوارو»..
- واأسفاه! ليتني كنت أعرف ما فيه الكفاية.. كلا.. ما زال عقلي طليقاً غير مقيد برأي معين.
ثم أضاف «بوارو» متأملاً:
- ربما تلزم بعض اختبارات معينة.
- اختبارات؟ أي نوع من الاختبارات؟
- إنني لم أكيف طبيعتها بعد.. وعلى أي حال فالأفضل ألاَّ تعرفيها يا سيدتي.
- لكي يمكن إجراء الاختبارات في شخصي أيضاً؟
- أنت يا سيدتي قد سمح لك بالدخول خلف الكواليس.. والآن بقيت مسألة واحدة مشكوك فيها.. إن فريق الشباب في الأسرة سوف يرحب بالحضور فيما أظن.. لكن ربما كانت الصعوبة هي ضمان حضور مستر «ثيموذي أبرناثي»... فقد بلغني أنه لا يفارق بيته أبداً.

فابتسمت «هيلين» فجأة وقالت:
- أعتقد أن التوفيق سيحالفك من هذه الناحية يا مسيو «بوارو».. فقد سمعت من «مود» أمس أن العمال يقومون بطلاء البيت وأن «ثيموذي» يقاسي كثيراً من روائح الطلاء ويقول إنها تؤثر في صحته أسوأ تأثير. وأظن أن «مود» وزوجها سوف يسرهما الحضور إلى هنا - ربما لمدة أسبوع أو أسبوعين.. ثم أن «مود» لا تزال في حالة لا تسمح لها بكثرة الحركة في البيت.. هل تعرف أنها أصيبت بالتواء في قدمها؟

ـ لم أسمع بهذا. . إنه من سوء الحظ.
ـ من حسن حظهما أنهما وجدا مرافقة «كورا»، مس «جيلكريست». . والظاهر أنها أصبحت عندهما بمثابة كنز.
فالتفت «بوارو» إلى «هيلين» قائلاً:
ـ ما هذا؟ من الذي اقترح على مس «جيلكريست» أن تذهب إليهما؟ . . من الذي أشار بهذه الفكرة؟
ـ أظن أن «سوزان بانكس» هي التي تولت هذه المهمة.
فقال «بوارو» بلهجة غريبة:
ـ آه. . ! إذن كانت «سوزان» الصغيرة هي صاحبة الفكرة؟ إنها مغرمة بعمل الترتيبات! . .
ـ إن «سوزان» فتاة مقتدرة.
ـ نعم. . إنها لكذلك. . هل سمعت أن مس «جيلكريست» نجت بمعجزة من الموت نتيجة قطعة من كعكة زفاف مسمومة؟
فقالت «هيلين» منزعجة:
ـ لا! لقد تذكرت الآن أن «مود» قالت في التليفون إن مس «جيلكريست» خرجت لتوها من المستشفى، ولكنني لم أعرف سبب وجودها في المستشفى. . عملية تسمم؟ لكن يا مسيو «بوارو». . لماذا. . !
ـ هل توجهين هذا السؤال حقاً؟
فقالت «هيلين» في انفعال وحدة مفاجئين:
ـ آه! اجمعهم كلهم هنا! . . اكتشف الحقيقة! . . يجب ألا تحدث جرائم قتل أخرى! . .
ـ إذن فسوف تتعاونين معي؟
ـ نعم. . سأتعاون. .

الفصل الرابع عشر

راح «هركيول بوارو» وهو جالس في مقعده قرب المدفأة في قاعة المكتبة يتصفح وجوه أفراد الأسرة بعد اجتماع شملهم.

تفرس في وجه «سوزان» التي جلست منتصبة القامة بادية النشاط والحيوية تنظر إلى زوجها الجالس إلى جانبها بوجه جامد الملامح وقد راحت أصابعه تعبث بحلقة المفاتيح..

وانتقلت نظراته إلى «جورج كروسفيلد» الذي جلس هادئاً ناعم البال يحدث «روزاموند» عن الغش في ألعاب الورق الذي برع فيه المحتالون على عبّارات المحيط استغلالاً للسائحين، وهي تعلق على حديثه بعبارات لا يبدو فيها أثر للاهتمام والتركيز.

ثم انتقلت نظراته إلى زوجها «مايكل شان» الوسيم، ومنه إلى «هيلين» التي جلست معتدلة القامة في شبه عزلة عن الجميع، ثم إلى «ثيموذي» الذي استقر في مقعد وثير وقد وضعت وسادة إضافية خلف ظهره، وإلى جانبه زوجته «مود» القوية البنية المتفانية في رعايته والسهر عليه، وأخيراً إلى تلك الشخصية التي جلست على مبعدة من دائرة جلوس أفراد الأسرة تلوح عليها أمارات الحرج - مس «جيلكريست»... كان «بوارو» على ثقة من أنها لن تلبث أن تنهض معتذرة وتترك الأسرة في مجلسها وتصعد إلى غرفتها.. كان يعلم أن مثلها تعرف مكانها الصحيح، بعد أن علمتها تجارب الحياة.

وكان «بوارو» يرتشف القهوة بعد العشاء وهو يمارس عملية الفحص والتقييم..

إن معلومات المحامي «أنتويسل» عن أفراد الأسرة كانت رائعة.. إنه وصفهم له وصفاً دقيقاً كله ذكاء وعمق.. وبالإضافة إلى المعلومات التي استقاها من المحامي، فإنه أراد أن يرى بنفسه.. فقد قدر أنه سوف يستطيع في اجتماعه بهؤلاء الأشخاص عن كثب أن يستخلص لنفسه النتائج التي يريدها عن الجريمة ومرتكبها.. ولا شك أن له من تجارب الحياة ما يستطيع معه أن يحدد ويعرف نموذج المجرم الهاوي الذي يندفع إلى القتل حين تضطره الظروف إلى ذلك ـ تماماً كما يستطيع خبير اللوحات الفنية أن يحدد الفنان ويعرفه.

لكن هذه المهمة لن تكون بالهينة اليسيرة.

ذلك أنه يستطيع أن يتصور أن أي واحد بين هؤلاء الأشخاص هو القاتل على وجه الترجيح أو الاحتمال.. إن «جورج كورسفيلد» يمكن أن يقتل ـ كما يندفع الفأر المحاصر إلى القتل.. وتستطيع «سوزان» بما هي عليه من قوة الشخصية والاقتدار أن ترسم بهدوء خطة للقتل.. و«جريجوري» لا يتورع بنفسيته الملتوية وطبعه الحقود عن أن يقتل للانتقام والعقاب.. و«مايكل شان» يقتل فهو الطموح المعتد بنفسه الواثق من مقدرته.. و«روزاموند» قد تدفعها السذاجة المفرطة إلى القتل.. و«تيموذي» يقتل لأنه كان يكره «رتشارد» وكان يشتهي أن تئول إليه ثروة أخيه لتكون له القوة ورفعة الشأن.. و«مود» تقتل لأن زوجها «ثيموذي» كان بمثابة طفلها المدلل، وحينما تكون هناك مصلحة للطفل فهي لا تتردد أن تكون قاسية بلا أدنى رحمة.. بل حتى مس «جيلكريست» ما كانت تتردد في أن تقتل إذا كان في القتل ما يرد إليها مشرب شاي «شجرة الصفصاف» بأمجاده الماضية.

و«هيلين»؟ إن «بوارو» لم يجد فيها صورة القاتل المحتمل.. فهي امرأة شديدة الرقة وأبعد ما تكون عن العنف.. ومن المؤكد أنها وزوجها «ليو» المتوفى كانا يحبان «رتشارد» حباً خالصاً.

لم يتمالك «بوارو» أن تنهد.. إن الطريق إلى الحقيقة لن يكون قصيراً مختصراً.. لا مفر له من أن يتبع الطريق الأطول، ولكنه طريق مكفول النتائج.. لا بد من الحوار، والحوار المستفيض المتصل.. ذلك لأنه من خلال ذلك لا بد أن يفتضح المستورد من دخائل الناس، إمّا بكذبة تبدر، أو من خلال الصدق ذاته

إن «هيلين» تولت تقديمه إلى المجتمعين بصفته مسيو «برنتارلير» ممثل هيئة اللاجئين الأجانب التي تريد شراء القصر وكان عليه أن يتغلب على نفورهم من وجوده بينهم كغريب أجنبي.. وقد راح يستعين بعينيه وأذنيه.. وجعل يراقب ويستمع، علناً ومن خلف الأبواب! وقد لاحظ تلك الخلافات والخصومات والكلمات المتطايرة التي لا بد أن تنبعث عندما يجرى تقسيم تركة.. ورتب جولات فردية ومسيرات في الشرفات استخلص لنفسه منها النتائج والملاحظات.. وتكلم مع مس «جيلكريست» عن الأمجاد القديمة لمشرب الشاي وتحدث معها في التركيب الدقيق لمختلف أصناف الكعك والحلوى،. كما أمضى فترات طويلة مستمعاً إلى «ثيموذي» وهو يتحدث عن صحته وعن تأثير الطلاء عليها.

ولم يتمالك «بوارو» أن قطب وجهه عندما تذكر كلمة الطلاء.. إن أحدهم قال له كلاماً عن الطلاء.. أهو مستر «أنتويسل»؟ لقد دارت أيضاً مناقشة عن نوع آخر من الطلاء.. عن «كورا لانكنير» كفنانة ترسم بالزيت والألوان.. فنانة تتحمس لها مس «جيلكريست»، وتستخف بها «سوزان» بقولها ذات مرة «صورها أشبه بالبطاقات المصورة!.. وكانت تنقل صورها عن هذه البطاقات أيضاً!».

وقد أغضب هذا الكلام مس «جيلكريست» إلى أبعد حد، حتى قالت بحدة إن مسز «لانكنير» العزيزة كانت دائماً ترسم من الطبيعة.

لكن «سوزان» قالت لـ«بوارو» بعد انسحاب مس «جيلكريست» من الغرفة:

ـ ولكنني أراهن أنها كانت تغش.. وأنا أعرف حقيقة أنها كانت تفعل ذلك، وإن كنت لا أريد أن أثير هذه المرأة المخرّفة..

ـ وكيف عرفت أنها كانت تفعل ذلك؟

ـ سأقول لك.. لكن لا تبلغ هذا الكلام إلى مس «جيلكريست».. إن إحدى الصور المرسومة تمثل ميناء الصيد في «بولفلكسان»: الخليج الصغير والفنار والسقالة ـ وهو المشهد الطبيعي المعتاد الذي يجلس الفنانون الهواة لرسمه.. لكن السقالة نسفت أثناء الحرب العالمية، ولما كانت لوحة خالتي «كورا» قد رسمت منذ سنتين، فإنها لا يمكن بداهة أن تكون مرسومة عن الطبيعة.. لكن البطاقات المصورة التي تباع لهذا المشهد لا تزال تحمل السقالة كما كانت قبل نسفها.. وقد ضبطت في غرفة نومها بطاقة مصورة من هذا النوع في أدراجها الخاصة.. وهكذا فإن «كورا» بدأت الرسم التخطيطي للمشهد في موقعه، ثم أتمت الصورة خفية في بيتها فيما بعد، نقلاً عن البطاقة المصورة! فيا لها من مفارقة مضحكة إذ يتعرض بعض الناس لمن يفضح أسرارهم يوماً ما!

ـ نعم.. هي مفارقة مضحكة كما قلت.

وتوقف «بوارو» هنيهة.. ولما وجد هذه البداية الطيبة قال أخيراً:

ـ أنت لا تتذكرينني يا سيدتي.. إنني كنت جالساً في سيارة ملتفاً بملابسي الثقيلة ورأيتك من النافذة ذات يوم.. كنت وقتها تتكلمين مع ميكانيكي الجراج.. ولم تلاحظي وجودي طبعاً، وأنا رجل عجوز أجنبي متدثر داخل السيارة.. أمّا أنا فقد لاحظتك، لأنك شابة وجذابة وكنت واقفة في الشمس.. وهكذا عندما جئت إلى هنا ورأيتك قلت لنفسي: «يا لها من مصادفة!».

ـ في جراج؟ أين؟ متى كان ذلك؟

ـ منذ فترة قصيرة.. أسبوع.. لا.. بل أكثر.. إنني لا أتذكر

بالضبط أين كان هذا (ولكنه كان يتذكر تماماً أن ذلك حدث أمام جراج فندق «كنجز آرمز» الصغير) فإنني أتنقل كثيراً في الأرياف بحكم مهنتي كمندوب.

ـ كنت تبحث عن بيت ملائم لشرائه للاجئين؟

ـ نعم.. هناك مشاغل كثيرة تملأ ذهن الإنسان في هذه المناسبات.. الثمن.. المنطقة.. صلاحية المكان لإجراء التعديلات المطلوبة..

* * *

كان مسلك أفراد الأسرة مهذباً حيال مسيو «برنتارلير» ممثل هيئة اللاجئين الأجانب المعروفة باسم «يوناركو».. ولا شك أنه كان موفقاً في اختيار هذه التسمية المختصرة للهيئة التي جاء يشتري القصر ممثلاً لها.. إن الجميع تقبلوا هذه التسمية من قبيل العرف الجاري، لئلا يتهموا بالجهل! وكان الاستثناء الوحيد من جانب «روزاموند» التي سألته في عجب:

ـ لكن ما هذه الهيئة؟ إنني لم أسمع بها من قبل؟

ومن حسن الحظ أن أحداً غيرها لم يكن حاضراً.. وقد تولى «بوارو» تفسير اسم الهيئة وطبيعة نشاطها بطريقة أفحمتها، حتى لم تجد إلَّا أن تقول في النهاية:

ـ آه.. لاجئون من جديد! إنني سئمت هؤلاء اللاجئين!

وهكذا كانت بسذاجتها معبرة عن شعور الآخرين الذين لجئوا إلى المجاملة والنفاق.

* * *

تقبلت الأسرة وجود مسيو «برنتارلير» بينها بمضض، ولكن على أساس الأمر الواقع الذي لا حيلة فيه.. وكان الرأي الغالب بينهم هو أن «هيلين» كان يجب أن تتحاشى المجيء به في عطلة نهاية الأسبوع هذه بالذات، ولكن ما دام قد حضر فلا بد لهم من أن يفلسفوا

وجوده ويعتبروه وكأنه غير موجود.. ومن حسن الحظ أن هذا الأجنبي الغريب الأطوار بدا لهم وهو لا يفهم اللغة الإنجليزية كثيراً.. فكثيراً ما ظهر لهم أنه لا يفهم ما يقال له، وعندما كان الجميع يتبادلون الحديث في وقت واحد فإنه كان يبدو عاجزاً تماماً عن الفهم.. وكان الشيء الوحيد الذي لاح لهم أنه يفهمه هو موضوع اللاجئين وظروف ما بعد الحرب.. وهكذا كان «بوارو» يميل في مقعده إلى الخلف يرتشف قهوته وهو شبه منسي منهم، وكان يسجل حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم ساكناً في الظاهر سكون القط الذي يتعقب مجموعة من العصافير تتواثب أمامه قبل أن تحين لحظة الانقضاض.

وبعد أن أمضى ورثة «رتشارد أبرناثي» أربعاً وعشرين ساعة كاملة وهم يطوفون بأرجاء القصر يفحصون محتوياته ويقدرون ويثمنون نفائسه، كانوا الآن على استعداد لكي يذكر كل منهم ما يريده ويفضله، بل ولكي يتقاتلوا فيما بينهم إذا لزم الأمر.

وكان موضوع النقاش الذي بدءوا به هو طاقم خزف من طراز «سبورا». فرغوا تواً من تناول الحلوى منه.. وقد تنافس على اقتناء هذا الطاقم كل من «ثيموذي» و«جورج».. وحسم الأمر أخيراً لمصلحة الأول.

ثم قامت منافسة بين «سوزان» و«روزاموند» على اقتناء الطاولة الرخامية الموجودة بقاعة الجلوس فقالت الأولى:

ـ إنني أريد هذه الطاولة لصالون التجميل الذي أقوم بإنشائه.. هي نوع من الديكور الزخرفي، وسوف أضع باقة كبيرة من الأزهار الصناعية فوقها.. وبهذا يمكن أن تبدو رائعة.. بإمكاني أن أجد الأزهار الصناعية بكل سهولة، أما الطاولة الرخامية فليست شيئاً عادياً.

فغمغمت مس «جيلكريست» قائلة:

ـ إن باقة الأزهار الصناعية كانت تبدو في مكانها المناسب جداً

فوق الطاولة.. إنها تحفة فنية.. بديعة الجمال.

ولكن لم يهتم أحد منهم بكلمات مس «جيلكريست» السطحية رغم أنها قالتها بحسن نية.

وقال «جورج» في مرح:

- سوف نسمي هذه المعركة «معركة الطاولة» وسوف تنشب غداً.. ستكون معركة مهذبة طبعاً، ولكن بعزيمة وإصرار رهيبين! إنني أقف في صف «روزاموند».. والمفروض أن الأزواج سوف يقفون في صف زوجاتهم! وأنت يا خالتي «هيلين»؟

فابتسمت «هيلين» قائلة:

- ربما أخذت الطاولة لنفسي!

وعمدت إلى تغيير موضوع الحديث، فالتفتت إلى مضيفها الأجنبي قائلة:

- أرجو ألَّا يكون هذا كله شيئاً مملًا في نظرك يا مسيو «برنتارلبير»؟

- عفواً يا سيدتي.. إنني أعد نفسي محظوظاً بوجودي في نطاق أسرتكم الفاضلة.. كل ما أريد أن أقوله هو أن أعرب عن بالغ أسفي لانتقال القصر من حيازتكم إلى أيدي الأغراب.. هذا ولا شك موجب لأشد الأسف.

وعلى هذه الصورة خفت حدة تأزم الجو إلى حد كبير.. ومالوا إلى التبسط والتفكه.. ولم يعد القوم ورثة «رتشارد أبرناثي» الذين اجتمعوا لاقتسام التركة بل أصبحوا أقرب إلى مجموعة عادية من الناس اجتمعت لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الريف.

ولم يلبث «بوارو» أن نهض متنهداً وقال لمضيفته «هيلين»:

- يحسن يا سيدتي أن أسلم مودعاً الآن... فإن القطار الذي سأستقله يقوم في الساعة التاسعة صباح الغد، وهذا وقت مبكر.. ولهذا فإنني أعرب لك الآن عن شكري لما وجدت من كرمك.. أما

عن موعد تسليم القصر، فسوف يتم هذا بالاتفاق مع مستر **«أنتويسل»** المحامي. . وأرجو ألاّ تكوني آسفة على مغادرته.

ـ آه. . لا فائدة من التعلق بالماضي. . على الإنسان أن يترك الماضي خلفه.

ـ إذا كان هذا في مقدرة الإنسان.

قال **«بوارو»** هذا وهو يدير عينيه ببراءة في وجوه الذين وقفوا حوله يجاملونه. . ثم استطرد:

ـ أحياناً لا يمكن للإنسان أن يترك الماضي، ولا للماضي أن يتركه. . إن الماضي يقف بجانب الإنسان ويقول له: «لم تتخلص مني بعد»

فضحكت **«سوزان»** متشككة. . فقال **«بوارو»**:

ـ لكنني جاد في كلامي.

فقال **«مايكل شان»**:

ـ تقصد أن اللاجئين الذين تمثلهم عندما يجيئون إلى هنا، لن يمكنهم نسيان آلامهم الماضية تماماً؟

ـ لست أقصد اللاجئين.

فقالت **«روزاموند»**:

ـ إنه يقصدنا يا حبيبي! إنه يقصد خالنا **«رتشارد»** وخالتنا **«كورا»**، إلى آخره!. .

ثم التفتت إلى **«بوارو»** قائلة:

ـ أليس هذا قصدك؟

فقال **«بوارو»** وهو ينظر إليها ببراءة:

ـ ولماذا تظنين هذا يا سيدتي؟

ـ لأنك بوليس سري واسمك **«هركيول بوارو»**! هذا هو سبب وجودك هنا! إن هيئة **«يوناركو»** للاجئين ليست سوى كلام فارغ!. أليس كذلك؟

الفصل الخامس عشر

سادت فترة عصيبة.. وفي النهاية قال «بوارو» وهو يهز رأسه دون أن يرفع نظره عن وجه «روزاموند» الجميل الهادىء:

- إن لك مقدرة فذة يا سيدتي.

فقالت «روزاموند»:

- ليس في الواقع.. إنهم أشاروا إليك ذات مرة في أحد المطاعم يعرفونني بك.. وقد تذكرت هذا أخيراً.

- لكنك لم تذكري هذا.. إلاَّ الآن.

فقالت «روزاموند»:

- فكرت أنَّ من الفكاهة ألاَّ أفعل هذا.

ودار «بوارو» بنظره متئداً في وجوههم جميعا.. كانت «سوزان» غاضبة، ومتحفزة.. وكان زوجها جامد الملامح متقوقعاً.. وكانت مس «جيلكريست» أقرب إلى البلاهة وقد فغرت فاها على سعته.. وكان «جورج» حذراً متأهباً.. وبدت «هيلين» مرتاعة، عصبية.

كانت ملامح وجوههم جميعاً طبيعية في موقف كهذا.. وقد ود «بوارو» لو أنه تصفح هذه الوجوه قبل ذلك بثانية واحدة، عندما صدرت عن «روزاموند» كلمة (بوليس سري).. أما الآن فإن هذه الملامح لم تعد كما كانت لحظتها.

ولم يلبث أن شد كتفيه وانحنى أمامهم، وقال:

- نعم.. أنا بوليس سري.

فقال «جورج»:

- ومن أرسلك إلى هنا؟
- لقد كلفت بالتحقيق في ظروف وفاة «رتشارد أبرناثي».
- ممن؟
- ليس هذا من شأنك في الوقت الحالي.. لكن قد يسوغ لكم أن تعلموا بدون أدنى ظل من الشك أن «رتشارد أبرناثي» مات ميتة طبيعية.
- بالطبع كانت وفاته طبيعية.. من قال غير هذا؟
- «كورا لانكنير».. و«كورا لانكنير» توفيت هي أيضاً.
فقال «جورج كروسفيلد»:
- وهل يمكن أن أسأل ما النتائج التي توصلت إليها؟
فقالت «روزاموند»:
- إنه لن يخبرك يا عزيزي.. ولو أخبرك، فإن ما يقوله لن يكون هو الحقيقة..
وكانت هي الوحيدة بينهم التي بدت متمتعة بالموقف.
وراح «بوارو» ينظر إليها مفكراً متأملاً.

- ٢ -

عندما ذهبت «هيلين أبرناثي» إلى غرفتها أمضت وقتاً طويلاً قبل أن تنام.. فقد كانت تفكر.

وفي جلستها أمام مائدة الزينة راحت تحدق إلى نفسها بغير وعي في المرآة.

لقد اضطرت إلى استقبال «بوارو» في القصر على غير رغبة منها بعد أن حملها المحامي «أنتويسل» على ذلك بإلحاحه.. أما الآن فقد انكشف وأصبح معروفاً للجميع.. ولم يبق الآن من سبيل لكي يترك «رتشارد أبرناثي» يستقر في قبره مستريحاً.. وقد كان ذلك كله بسبب كلمات تفوهت بها «كورا»!..

ذلك اليوم بعد الجنازة.. كيف كانت حالة كل واحد منهم؟ كيف راحوا ينظرون إلى «كورا»؟ كيف راحت هي نفسها تنظر إليها؟

إن عينيها اللتين كانتا تحدقان في المرآة دون وعي لم تلبثا أن ركزتا نظرتها فجأة.. إنها ترى الآن نفسها.. لكن ليست نفسها حقيقة.. ليست نفسها كما يراها الآخرون.. ليس كما رأتها «كورا» في ذلك اليوم.

إن حاجبها الأيمن.. لا.. إن حاجبها الأيسر كان مقوساً إلى أعلى قليلاً عن حاجبها الأيمن.. والفم؟ لا.. إن تقوس الفم منتظم.. ولو أنها التقت بنفسها، لما وجدت فارقاً كبيراً يختلف عن هذه الصورة البادية في المرآة.. لكن لم يكن الحال كذلك مع «كورا»!..

«كورا»!.. سرعان ما تجلت الصورة بأتم وضوح.. «كورا» يوم الجنازة، ورأسها مائل إلى الجانب.. وهي تلقي بسؤالها الرهيب.. وهي تنظر إلى «هيلين».

لم تتمالك «هيلين» أن رفعت يديها فجأة إلى وجهها.. وقالت لنفسها:

ـ هذا غير معقول!.. لا يمكن أن يكون معقولاً!..

ـ ٣ ـ

استيقظ المحامي «أنتويسل» من نومه في الساعة السابعة صباحاً على رنين جرس التليفون إثر مكالمة خارجية من قصر «أندربي».

كانت المتكلمة «هيلين أبرناثي».. وقد قالت له معتذرة:

ـ أنا في شدة الأسف لإيقاظك من النوم في هذا الوقت المبكر.. لكنك طلبت مني مرة أن أتصل بك في الحال إذا أنا تذكرت ما الذي اعتبرته شيئاً خاطئاً يوم الجنازة عندما كهربتنا «كورا» جميعاً بقولها أن «رتشارد» مات مقتولاً.

ـ آه! وهل تذكرت فعلاً؟

فقالت «هيلين» بصوت ينم عن الحيرة:

- نعم.. لكنه شيء غير معقول!

- دعي لي الحكم على هذا.. هل كان شيئاً لاحظته على أحد الأشخاص؟

- إنه يبدو غير معقول.. لكنني واثقة تماماً منه.. إنني تذكرت هذا الشيء بينما كنت أنظر إلى نفسي في المرآة في الليلة الماضية.. أواه!..

كانت صرخة فزع يسيرة أعقبها صوت بدا غريباً عبر أسلاك التليفون.. صوت ثقيل أصم لم يستطع المحامي أن يتبين حقيقته قط.

وصاح على الفور:

- آلو.. آلو!.. «هيلين»!.. تكلمي!.. «هيلين»!

الفصل السادس عشر

- ١ -

لم يستطع المحامي «أنتويسل» أن يتصل تليفونياً بقصر «أندربي» إلا بعد ساعة بذل فيها جهداً جهيداً ومحاولات شتى مع المشرفين وغيرهم في هيئة التليفونات.

أمكنه أخيراً أن يتصل بـ«بوارو».. وقال في انفعال يغتفر له:

- شكراً للسماء! إن (الترنك) وجد صعوبة كبرى في الاتصال برقمكم!

فقال «بوارو»:

- ليس في هذا ما يدهش.. إن السماعة كانت مدلاة.

بدت لهجة «بوارو» عبر الأسلاك مستطيرة، فقال «أنتويسل» بحدة:

- هل حدث شيء؟

- نعم.. إن الخادمة عثرت على «هيلين أبرناثي» منذ ثلث ساعة ملقاة على الأرض بجانب التليفون في غرفة المكتب.. كانت فاقدة الوعي.. مصابة بارتجاج في المخ.

- تعني أنها تلقت ضربة على الرأس؟

- أظن هذا.. ومن الجائز أنها وقعت واصطدم رأسها بالأرض، ولكنني لا أظن هذا.. والطبيب لا يظن هذا أيضاً.

- إنها كانت تتحدث إلي تليفونياً وقتها.. وقد دهشت عندما انقطعت المكالمة التليفونية فجأة.

- إذن فأنت الذي كانت تكلمه «هيلين» تليفونياً؟ ماذا قالت لك؟

- إنها ذكرت لي منذ فترة سابقة أنها شعرت في تلك المناسبة التي صرحت فيها «كورا لانكنير» أن شقيقها «رتشارد» مات مقتولاً، بأن هناك شيئاً بدا لها خاطئاً، غريباً... ولم تستطع في كلامها معي أن تبين ما ذلك الشيء.. ومن سوء الحظ أنها لم تستطع أن تتذكر ما الذي أوحى إليها بذلك الإحساس.

- وفجأة تذكرت؟

- نعم.

- واتصلت بك تليفونياً لكي تخبرك؟

- نعم.. وقد بدأت تتكلم.. ولكن كلامها قطع.

- إلى أي حد وصلت في كلامها؟

- قالت لي إنني طلبت منها أن تخبرني في الحال إذا تذكرت ما الذي بدا لها خاطئاً غريباً في تلك المناسبة... وقالت إنها تذكرت فعلاً، ولكنه (شيء غير معقول)... وقد سألتها إذا كان شيئاً يتصل بأحد الأشخاص الذين كانوا موجودين في ذلك اليوم.

فأجابت بنعم.. وقالت إنها تذكرت هذا بينما كانت تنظر إلى نفسها في المرآة.

- ألم تذكر أي تلميح عن الشخص المقصود بين الجميع؟

فقال «أنتويسل»:

- كلا.. ولا بد لنا من الانتظار حتى تعود «هيلين» إلى وعيها.

- إن انتظارنا قد يدوم طويلاً.. إنها قد لا تفيق أبداً.

- هل الحالة خطيرة إلى هذا الحد؟

- نعم..

ـ لكن.. هذا شيء فظيع يا «بوارو»!

ـ نعم.. هو فظيع.. وهذا هو السبب في أنه لا يمكننا الانتظار.. إننا نواجه شخصاً إما أن يكون قاسياً بلا أدنى رحمة، أو شديد الخوف والفزع على نفسه إلى حد يوصله إلى نفس النتيجة.

ـ لكن قل لي يا «بوارو»! ماذا بشأن «هيلين».. إنني أشعر بالقلق عليها.. هل أنت متأكد أنها ستكون آمنة في قصر «أندربي»؟

ـ لا.. لن تكون آمنة.. ولهذا فإنها ليست في قصر «أندربي».. وفي الوقت الحالي حضرت سيارة إسعاف لنقلها إلى إحدى المصحات حيث ستشرف عليها ممرضات خصوصيات ولن يسمح لأحد ما بزيارتها، لا من الأقارب ولا من غيرهم.

فتنفس المحامي الصعداء قائلاً:

ـ لقد أرحت بالي.. كان يمكن أن تتعرض للخطر.

ـ إنها فعلاً معرضة للخطر.

قال المحامي بصوت يدل على الانفعال الشديد:

ـ إنني أحمل لـ«هيلين أبرناثي» أعمق الاحترام والتقدير..

وشرب «بوارو» قهوته وارتدى معطفه وقبعته ثم غادر الغرفة وهبط السلم الخلفي بخفة وغادر القصر من الباب الجانبي.. وسار بنشاط مسافة ربع الميل التي تبعد القصر عن مكتب البريد، وهناك طلب مكالمة تليفونية خارجية.. ولم يلبث أن راح يكلم المحامي «أنتويسل» مرة أخرى.. قال له:

ـ نعم.. أنا هو مرة ثانية! إنني لم أتحدث إليك بصراحة. لأن بعضهم كان يسترق السمع.. إنني أريد منك يا صديقي أن تذهب إلى بيت «ثيموذي أبرناثي».

ـ لكن «ثيموذي» و«مود» موجودان عندك في قصر «أندربي»!

ـ بالضبط.. لا يوجد في البيت سوى امرأة تدعى مسز «جونز» أمكن إغراؤها بمبلغ كبير لحراسة البيت مدة غيابها.. إن ما أريده

منك هو أن تحصل على شيء معين في ذلك البيت.
ـ يا عزيزي «بوارو»! لا يمكن أن أنحدر إلى حد السرقة!
ـ إنها لن تبدو سرقة.. سوف تقول لمسز «جونز» التي تعرفك إن مستر ومسز «أبرناثي» كلفاك بإحضار هذا الشيء المعين وأخذه إلى «لندن».. وهي لن تشك في الأمر..
فقال «أنتويسل» بلهجة تدل على أشد النفور:
ـ ربما كان ما تقول.. لكنني لا أحب هذا العمل.. لماذا لا تذهب أنت وتأخذ ما تريده؟
ـ لأنني يا صديقي سأبدو في هيئة الأجنبي الغريب، وأكون بهذا عرضة للاشتباه: مما يجعل مسز «جونز» تضع العقبات في طريقي. أما معك فإنها لن تفعل ذلك.
فقال «أنتويسل» بلهجة الشهيد:
ـ هل أنت واثق يا «بوارو» أن هذه المهمة ضرورية فعلاً؟
ـ بل هي حيوية!
ـ وما هذا الشيء الذي يلزم أن أحصل لك عليه؟
فأخبره «بوارو» بما يريد..
فقال المحامي أخيراً:
وماذا تريد أن أفعل بهذا الشيء اللعين؟
ـ سوف تذهب به إلى «لندن»، إلى عنوان معين في «أيلم بارك جاردنز».. إذا كان معك قلم فاكتب العنوان.
وبعد أن كتب المحامي العنوان قال بلهجة الشهيد مرة أخرى:
ـ أملي أن تكون مقدراً ما تفعل يا «بوارو»؟
ـ طبيعي إنني مقدر تماماً ما أفعل.. إننا نقترب من النهاية...
فقال «أنتويسل» وهو يتنهد:
ـ ليتنا كنا نستطيع أن نخمن ماذا كانت «هيلين» تريد أن تقوله لي.

ـ لا لزوم للتخمين.. إنني أعرف ما الذي رأته «هيلين أبرناثي» عندما كانت تنظر في مرآتها..

* * *

كان طعام الإفطار عملية ثقيلة.. وقد تخلف كل من «روزاموند» و«تيموذي» عن الحضور، ولكن المتبقون حضروا، وكانوا يتكلمون بأصوات خافتة، وتناولوا من الطعام أقل مما اعتادوا أن يأكلوه!

وكان «جورج» أول من استرد انتعاشه، إذ كان أقربهم إلى التفاؤل، وقد قال:

ـ أتوقع أن تصبح خالتي «هيلين» على ما يرام.. إن الأطباء يحبون دائماً أن يتحفظوا.. ثم ما الارتجاج في الحقيقة؟ إنه يتلاشى غالبا خلال أيام قليلة.

فقالت «سوزان»:

ـ ما لا أفهمه هو لماذا كانت «هيلين» تتكلم بالتليفون في مثل تلك الساعة المبكرة، ومن الذي كانت تكلمه؟

فقالت «مود» بلهجة الوثوق:

ـ أكبر الظن أنها كانت مريضة.. فاستيقظت وهي تشعر بحالة غير طبيعية ونزلت للاتصال بالطبيب تليفونياً.. وعند ذلك شعرت بدوار وسقطت.. هذا هو التفسير الوحيد المعقول.

وفي هذه اللحظة فتح الباب، وجاءت «روزاموند» مقطبة.. قالت:

ـ لا يمكنني أن أجد تلك الأزهار الصناعية.. أعني الأزهار التي كانت موجودة فوق الطاولة الرخامية يوم جنازة خالي «رتشارد».

ونظرت إلى «سوزان» بعين الاتهام، قائلة:

ـ هل أخذتها أنت؟

ـ لم آخذها بالطبع.. ما أعجب أمرك يا «روزاموند» تفكرين

في الطاولة في الوقت الذي نقلت فيه «هيلين» المسكينة إلى المستشفى مصابة بارتجاج؟

ـ ليس بإمكاننا أن نفعل شيئاً من أجل «هيلين»، ولا بد لي أنا و«مايكل» من العودة إلى «لندن» لنكون هناك قبل موعد الغداء، نظراً لارتباطنا بموعد مع المخرج بشأن مسرحية الافتتاح.. ولهذا أريد أن أنتهي من مسألة الطاولة.. لكنني أحب أن ألقي نظرة أخرى على الأزهار الصناعية.. فأين الأزهار؟ ربما كان «لانسكوم» يعرف.

وفي هذه اللحظات أطل «لانسكوم» ليرى إن كانوا فرغوا من الإفطار..

فقالت «روزاموند»:

ـ «لانسكوم».. هل تعرف أين تلك الأزهار الصناعية التي كانت توضع عادة على الطاولة في غرفة الجلوس؟

ـ فهمت يا سيدتي أن مسز «هيلين» اصطدمت بالزهرية الزجاجية فانكسرت قطعة منها، وقالت إنها ستأتي بزهرية جديدة، ولكن أظن أن هذا لم يتم بعد.

ـ وأين الأزهار إذن؟

ـ ربما تكون في الدولاب تحت السلم.. هذا هو المكان الذي توضع فيه الأشياء التي تحتاج إلى إصلاح... هل أتأكد يا سيدتي؟

ـ سأذهب وأنظر بنفسي.. تعال معي يا «مايكل».. المكان مظلم تحت السلم، ولا يمكن أن أذهب إلى الأركان المظلمة بعد ما حدث لخالتي «هيلين».

فبهت الجميع.. وقالت «مود» بصوتها العميق:

ـ ماذا تعنين يا «روزاموند»؟

ـ إن أحدهم لطمها على رأسها.. ألا ترون هذا؟

فقال «جورج» بحدة:

ـ لا يليق أن تقولي كلاماً كهذا يا «روزاموند».

فقالت «روزاموند»:

ـ لا بد أن هذا هو ما حدث لها.. أعني.. إنها حلقة في سلسلة الحوادث.. بوليس سري موجود عندنا يبحث عن الأدلة.. والخال «رتشارد» مات مقتولاً.. والخالة «كورا» قتلت بضربة بلطة.. ومس «جيلكريست» أعطيت كعكة زفاف مسمومة.. والآن، نرى الخالة «هيلين» تضرب على رأسها بآلة حادة.. إذن فالمسألة سوف تستمر هكذا.. واحد بعد واحد منا يموت مقتولاً، والذي يبقى في النهاية سوف يكون هو القاتل!

الفصل السابع عشر

- ١ -

دعا «بوارو» إلى عقد اجتماع في الساعة الحادية عشرة في قاعة المكتبة.. وقد حضر الجميع، وراح «بوارو» يدير نظره في الوجوه التي التفت حوله مفكراً ثم قال:

- قالت لكم مسز «روزاموند» في الليلة الماضية إنني بوليس سري.. وكان بودي أن أخفي عنكم حقيقتي فترة أخرى. لكن لا يهم.. فلن يمضي هذا اليوم، أو غداً على الأكثر، حتى أكون قد أعلنت لكم الحقيقة.. والآن أرجو أن تنصتوا بعناية لما سوف أقوله.. إنني كنت صديقاً منذ أعوام لمستر «أنتويسل».

- إذن فهو المحرك وراء هذا؟

- لك أن تقول هذا يا مستر «كروسفيلد» إذا شئت.. إن مستر «أنتويسل» شعر بانزعاج شديد لكلمات مسز «لانكنير» يوم الجنازة.. كلمات قيلت في نفس هذه القاعة. وقد زاد انزعاجه وقلقه بعد أن تصادف موت مسز «لانكنير»، إذا سميناه مصادفة، وقد أراد أن يطمئن إلى أن وفاة «رتشارد أبرناثي» كانت طبيعية.. ومن أجل هذه الغاية فإنه عهد إلي القيام بالتحريات اللازمة..

وتوقف «بوارو» برهة، ثم قال:

- وقد قمت بهذه التحريات.

ومرة أخرى كان التوقف.. ولم ينبس أحد ببنت شفة. فرفع

«بوارو» رأسه إلى الخلف وقال:
ـ لا بأس.. سوف يسركم جميعاً أن تعلموا أنه نتيجة لتحرياتي، ثبت أنه ليس هناك على الإطلاق ما يدعو إلى الظن أن بأن وفاة مستر «رتشارد أبرناثي» كانت ميتة غير طبيعية.. لا مبرر بأي حال للاعتقاد بأنه مات مقتولاً.
وابتسم «بوارو».. ورفع يديه بإشارة من حقق انتصاراً، قائلاً:
ـ هذا خبر طيب.. أليس كذلك؟
لكنهم لم يتقبلوا الخبر على هذه الصورة.. فقد راحوا يحدقون إليه، وبدت في نظراتهم جميعاً، إلا واحداً، أمّارات الشك والارتياب.
كان هذا الواحد هو «ثيموزي أبرناثي»، الذي هز رأسه بقوة مؤمناً على كلام «بوارو»، وراح يقول بلهجة الغضب:
ـ بالطبع لم يمت «رتشارد» مقتولاً! إنني لم أفهم بالمرة لماذا يظن إنسان شيئاً كهذا! هي ألاعيب «كورا» المعروفة! وقد أرادت إزعاجكم جميعاً! والحقيقة أنها رغم كونها أختي، فإنها كانت مختلة العقل إلى حد ما.. لا بأس يا مستر مهما يكن اسمك.. فأنا مسرور لأنك وصلت إلى النتيجة السليمة، وإن كنت أعدها صفاقة من «أنتويسل»أن يكلفك بالاطلاع على أحوالنا وخصوصياتنا! وإذا توهم أن في إمكانه مطالبة أصحاب التركة بأتعابك، فاعلم أنه لن يكون له هذا.. من يكون «أنتويسل» حتى يتجرأ هكذا؟ ما دامت الأسرة كانت مطمئنة..
فقالت «روزاموند»:
ـ لكن الأسرة لم تكن مطمئنة يا خالي «ثيموزي».
قال «ثيموزي» وهو يحدجها بنظراته مستاء:
ـ ما هذا الكلام؟
فقالت «روزاموند»:
ـ إننا لم نكن مطمئنين.. ثم ما رأيك فيما حدث لخالتي «هيلين» صباح اليوم؟

- إن «هيلين» شعرت بمرض، فنزلت واتصلت تليفونياً بالطبيب. . . وعندئذ. . .

فقالت «روزاموند»:

- لكنها لم تتصل تليفونياً بالطبيب. . إنني سألته في هذا.

فقالت «سوزان» بحدة:

- ومن الذي كانت تكلمه بالتليفون إذن؟

فقالت «روزاموند» وقد علت محياها سحابة استياء:

- لا أعرف. . ولكن أعتقد أنّ بإمكاني أن أعرف.

- ٢ -

قال المفتش «مورتون»:

- سمعت أنك موجود هنا في القصر يا مسيو «بوارو».

كان الرجلان يتمشيان في الشرفة معاً، بينما استطرد مفتش البوليس يقول:

- إنني جئت مع المفتش المساعد «بارويل» من «ماتشنباد». . فقد اتصل به الدكتور «لارابي» تليفونياً بخصوص مسز «هيلين أبرناثي»، وقد جاء إلى هنا لإجراء التحريات اللازمة. . إن الطبيب غير مرتاح بعد نتيجة الفحص.

- وأنت يا صديقي المفتش. . ما دورك هنا؟ إنك بعيد جداً عن مقر عملك في «يركشير».

- أردت أن أوجه بعض الأسئلة. . والأشخاص الذين أردت مساءلتهم وجدتهم مجتمعين هنا.

وتوقف المفتش قبل أن يضيف قائلاً:

- هل كان جمعهم هنا من صنعك؟

- نعم. . من صنعي.

ـ ونتيجة ذلك أصيبت مسز «هيلين» إصابتها التي أفقدتها الوعي.
ـ لا يجب أن تلومنا على هذا.. لو أنها جاءت إلي!.. لكنها لم تفعل.. بدلاً من ذلك اتصلت تليفونياً بمحاميها في «لندن».
ـ وكانت في طريقها إلى مكاشفته بشيء ما عندما أصيبت؟
ـ هو ما تقول.
ـ وما الذي حاولت أن تقوله له؟
ـ شيء قليل.. لم تقل له أكثر من أنها كانت تنظر إلى نفسها في المرآة..
فقال المفتش «مورتون» مغلوباً على أمره:
ـ أحقاً؟ ليس هذا غريباً.
على أنه تطلع إلى «بوارو» بحدة قائلاً:
ـ هل يوحي إليك هذا بشيء؟
ـ نعم.. أعتقد أنني أعرف ما هذا الذي أرادت أن تقوله للمحامي.
ـ أنت متنبىء كبير. لا بأس.. وما هذا؟
ـ معذرة.. هل تتولى التحقيق في وفاة «رتشارد أبرناثي»؟
ـ رسمياً لا.. وواقعياً نعم، إذا كان لهذا صلة بمقتل مسز «لانكنير».
ـ نعم.. هناك صلة.. ولكنني أطلب منك يا صديقي مهلة ساعات معدودة.. وبعدها سأعرف إذا كان ما تصورته وأقول ما تصورته فقط ـ صحيحاً. فإذا كان كذلك..
ـ حسنٌ.. إذا كان كذلك؟
ـ عندئذ قد أتمكن من أن أضع بين يديك أدلة مادية.
فقال المفتش «مورتون» بانفعال:
ـ إن هذه الأدلة قد تكون عوناً كبيراً لنا في التحقيق الرسمي.
ثم تطلع إلى «بوارو» بارتياب قائلاً:

ـ ماذا تخفي عنا؟
ـ لا شيء! بتاتاً! لأن الأدلة المادية التي تصورتها قد لا يكون لها وجود في الواقع.. إنني استنتجت وجودها من خلال أحاديث متفرقة.. وقد أكون مخطئاً.
فقال «مورتون» باسماً:
ـ لكن هذا لا يحدث لك كثيراً؟
ـ صدقت.. وإن كان لا بد لي من الاعتراف أنه حدث أحياناً.
ـ وهل تطلب مني أن أؤجل التحقيقات التي جئت لاستكمالها؟
ـ لا.. لا.. لا بتاتاً! استمر في طريقك.. أرجو ألّا يكون في نيتك القبض على بعض الأشخاص؟
ـ الدواعي لهذا ليست قوية.. لا بد أولاً من استصدار قرار من المدعي العام، وما زلنا بعيدين عن الظروف التي تبرر ذلك.. المطلوب فقط أقوال بعض الأشخاص عن تحركاتهم في اليوم المشار إليه.

ـ ٣ ـ

وجد «بوارو» «روزاموند» جالسة فوق مقعد خشبي قرب غدير يجري متدفقاً بين الأشجار وهي تحدق في الماء.. فقال وهو يجلس بجوارها:
ـ أرجو ألّا يكون في وجودي هنا مضايقة لك.
فتطلعت إليه «روزاموند» برهة ثم قالت وهي تنظر إلى ساعة معصمها:
ـ ظننت أنك سافرت.. إن الساعة تجاوزت الثانية عشرة.
ـ إنني تأخرت عن موعد القطار.
ـ لماذا؟
ـ في رأيك أنني فعلت هذا عن قصد؟

ـ أظن هذا.. أنت دقيق محافظ على مواعيدك.. ومثلك إذا أراد ركوب قطار معين لما تركه يفوته!

ـ إن تقديرك رائع يثير الإعجاب.. هل تعرفين يا سيدتي أنني كنت جالساً في الكشك الصيفي، مؤملاً أن تجيئي لزيارتي؟

فحدقت إليه «روزاموند» قائلة:

ـ ولماذا أفعل هذا؟ إنك ودعتنا جميعاً في قاعة المكتبة.

ـ بالضبط.. أو لم يكن هناك شيء ـ كنت تريدين أن تقوليه لي؟

فهزت «روزاموند» رأسها قائلة:

ـ .. كان عندي الكثير مما أردت أن أفكر فيه.

ـ مفهوم.

ـ إنني لا أفكر كثيراً في العادة.. فإن هذا مضيعة للوقت.. ولكن هذه مسألة هامة.. وأظن أن على الإنسان أن يرسم حياته بالكيفية التي يريدها.

ـ وهذا ما تفعلينه الآن؟

ـ حسنٌ.. نعم.. إنني كنت أحاول أن أتخذ قراراً في شيء معين..

ـ خاص بزوجك؟

ـ إلى حد ما.

فانتظر «بوارو» برهة.. ثم قال:

ـ إن المفتش «مورتون» جاء إلى هنا.. هو ضابط البوليس المختص بالتحقيق في وفاة مسز «لانكنير» وقد جاء إلى هنا للحصول على معلوماتكم جميعاً عما فعله كل منكم في اليوم الذي قتلت فيه.

فقالت «روزاموند» وقد تهلل محياها الجميل بصورة شيطانية غريبة:

ـ ستكون هذه مصيبة بالنسبة لـ«مايكل»! فهو يظن إنني لا

أعرف أنه ذهب إلى تلك المرأة في ذلك اليوم!

وكيف عرفت؟

ـ عرفت هذا بوضوح من لهجته وهو يقول إنه ذاهب للغداء مع «أوسكار».. فقد قالها بلهجة عرضية جداً، وكان أنفه يرتعش كعادته كلما كذب.

ـ الحمد لله يا سيدتي أنني لست زوجك!

فاستطردت «روزاموند» تقول:

ـ ثم إنني تأكدت طبعاً باتصالي تليفونياً بـ«أوسكار».. فمن عادة الرجل دائماً أن يكذب هذه الأكاذيب الحمقاء!

فقال «بوارو» مجازفاً:

ـ لعله ليس زوجاً وفياً؟

ـ نعم.

ـ ولكنك لا تبالين؟

فراحت «روزاموند» تقول:

ـ لا بأس.. المسألة فيها عنصر الفكاهة إلى حد ما.. أعني أن يكون للمرأة زوج تحاول كل النساء اختطافه منها! إنني أكره أن أتزوج رجلاً لا يريده أحد.. مثل «سوزان» المسكينة.. إن «جريجوري» في الواقع شخصية تافهة!

فقال «بوارو» وهو يتأملها:

ـ ولنفرض أن أحدهن نجحت.. في اختطاف زوجك منك؟

فأجابت «روزاموند»:

ـ لن تنجح امرأة ما في ذلك.

ثم أضافت على الأثر:

ـ ليس الآن على الأقل.

ـ تقصدين؟

ـ ليس الآن ما دامت تركة خالي «رتشارد» موجودة.. إن

«مايكل» يضعف فعلاً أمام إغراء مثل هؤلاء النساء... وكادت تلك المرأة المدعوة «سوريل رينتون» تنشب خطافها فيه.. ولكن مع شخص مثل «مايكل» فإن المسرح يأتي في المقام الأول.. إنه يستطيع الآن أن يقدم الاستعراض المسرحي الضخم الذي كان يحلم به.. إنه شخص طموح، وهو ممثل قدير فعلاً.. إنه ليس مثلي.. إنني أعبد التمثيل، ولكنني ضعيفة الأداء، رغم حسن مظهري.. لا.. إنني لم أعد أشعر بقلق على «مايكل».. لأن المال في يدي كما ترى!

قالت هذا وواجهت نظراته بهدوء.. فلم يتمالك «بوارو» أن عجب من غرابة موقف ابنتي أختي «رتشارد أبرناثي» هاتين إذ وقعتا في حب رجلين ثبت أنهما لا يبادلانهما هذا الحب العميق!

الفصل السابع عشر

- ١ -

جاءت البرقية حوالي الساعة السادسة مساء ذلك اليوم. .

وكان توزيع البرقية يداً بيد طبقاً للمطلوب، لا تبليغاً بالتليفون. . . وكان «بوارو» الذي ظل يحوم فترة حول الباب الأمامي هو الذي تسلم البرقية من «لانسكوم» حينما أخذها هذا الأخير من عامل البرقيات.

وفي الحال فض «بوارو» البرقية في شيء من التلهف يخالف مألوفه وعادته، فكانت تتألف من ثلاث كلمات وتوقيع.

وعلى الفور تنفس «بوارو» الصعداء. . ثم تناول من جيبه جنيهاً وقدمه إلى عامل البرقيات المذهول، وقال مخاطباً «لانسكوم»:

- هناك لحظات لا بد فيها من التخلي عن مبادىء الاقتصاد.

فقال «لانسكوم» بأدب:

- هذا جائز يا سيدي.

فقال له «بوارو»:

- أين المفتش «مورتون»؟

- إن أحد ضابطي البوليس قد ذهب. . والثاني في غرفة المكتب كما أظن. .

فقال «بوارو»:

- رائع! سوف أنضم إليه في الحال.

وربت بيده على ظهر «لانسكوم» قائلاً:
ـ تشجع! إننا على وشك الوصول!
وتحول عنه مبتعداً.. ثم ما لبث أن استدار إليه قائلاً:
ـ ترى هل يمكنك أن تتذكر أول كلام قالته مسز «لانكنير» لك عندما وصلت إلى هنا في يوم تشييع جنازة سيدك؟

فقال «لانسكوم» وقد تهلل وجهه:
ـ أتذكر هذا جيداً يا سيدي... إن مس «كورا» ـ معذرة، أعني مسز «لانكنير» ـ فقد اعتدت أن أفكر فيها دائماً بإسم مس «كورا».
ـ هذا طبيعي جداً.
ـ إنها قالت لي: «هالو «لانسكوم»! مضى وقت طويل منذ أن اعتدت أن تحضر لنا حلوى «المارينج» إلى الأكشاك... فإن أطفال الأسرة اعتادوا أن يقضوا وقتهم في أكشاك خاصة بهم في الحديقة قرب السور.. وكان من عادتي في الصيف عندما تكون هناك مأدبة في القصر، أن أحضر «المارينج» إلى صغار أفراد الأسرة.. وكانت مس «كورا» مغرمة بهذا النوع من الحلوى.

فقال «بوارو»:
ـ نعم... هذا ما خطر لي.
وذهب «بوارو» إلى غرفة المكتب حيث وجد المفتش «مورتون»، وقدم إليه البرقية ذون كلام فقرأها «مورتون» وهو خالي الذهن... وقال:
ـ لست أفهم كلمة واحدة منها.
ـ لقد حان الوقت لكي أخبرك بكل شيء.
ـ نعم... نعم... قل لي كل شيء! إنني أستحلفك أن تعجل بهذا!.

- ٢ -

في هـذه المرة جمـع «بوارو» أفـراد الأسرة في قـاعة الجلوس الفسيحة.

كانت ملامح الوجوه التي راحت تتطلع إليه أقرب إلى التبسيط والتفكه، بعكس ما كان الحال عندما تولى البوليس الرسمي المتمثل في المفتش ومساعده مهمة الاستجواب والتحقيق.

وبدا لـ«بوارو» أنه لا بد من بذل جهد مضاعف لكي يحدث في نفوسهم التأثير المطلوب.. ولهذا بدأ حديثه قائلاً:

ـ للمرة الثانية أعلن إليكم سفري... في الصباح قلت لكم إنني مسـافر بقـطار الساعـة التـاسعـة والنصف، أي بعـد العشـاء مباشرة... وسأذهب لأنه لم يبقَ لي هنا ما أفعله بعد ذلك.

«إنني جئت إلى هنا أصلاً لحل لغز.. وقد انتهى اللغز... وأود أولاً أن أستعـرض النقط المختلفة التي وضعهـا أمامي مستر «أنتويسل» المحترم.

أولاً ـ مستر «رتشارد أبرناثي» يموت فجأة..

ثانياً ـ بعد تشييع جنازته تصرح أخته «كورا لانكنير» بقولها: (إن «رتشارد» مات مقتولاً... أليس كذلك؟).

ثالثاً ـ مسز «لانكنير» تموت مقتولة... والسؤال هو: هل هذه الأمور الثلاثة حلقات في سلسلة متصلة؟ ولنأخذ أولاً في استعراض ما يحدث بعد ذلك... إن مس «جيلكريست» مرافقة القتيلة تصاب بالمرض بعد تناول قطعة من كعكة زفاف تحتوي على سم الزرنيخ... وهذه إذن هي حلقة جديدة في السلسلة.

«والآن، وطبقاً لما قلته لكم صباح اليوم، فإنني لم أصادف في خلال تحرياتي أي شيء يؤيد الاعتقاد بأن مستر «رتشارد» مات مقتولاً بالسم... وبنفس هذا القدر يجوز لي أن أقول أنني لم أجد شيئاً يثبت بصفة قاطعة أنه لم يمت مقتولاً بالسم... ولكن الأمور لا تلبث كلما

تقدمنا أن تغدو أيسر. . . ليس هناك شك في أن «كورا لانكنير» قد توجهت بهذا السؤال المثير في يوم الجنازة. . . كلكم توافقون على هذا. . . وليس هناك شك في أن «كورا لانكنير» قتلت في اليوم التالي، وكانت الأداة التي استخدمت في القتل هي بلطة. . . والآن لنقم معاً بفحص الواقعة الرابعة. . . وهي تسميم مس «جيلكريست». . .

إن سائق مركبة البريد في تلك المنطقة يؤكد بقوة، وإن لم يكن مستعداً لحلف اليمين القانونية، أنه لم يقم بتوزيع طرد كعكة الزفاف بالطريقة المتبعة. . . فإذا كان الأمر كذلك، فإن الطرد قد وضع في مكانه بفعل فاعل وليس عن طريق البريد. . ومع أنه ليس لنا أن نستبعد وجود (فاعل مجهول)، غير أنه لا بد لنا أن نضع في الاعتبار ونركز على أولئك الأشخاص الذين كانوا وقتها في مسرح الواقعة وفي موقف يمكنهم من وضع الطرد في المكان الذي وجد فيه بعد ذلك. . . كان هؤلاء الأشخاص هم: مس «جيلكريست» ذاتها بالطبع. . . و«سوزان بانكس» التي جاءت إلى الفيللا في ذلك اليوم لحضور التحقيق الرسمي. . . ومستر «أنتويسل» المحامي (وأقول إنه لا بد من الإشارة إلى وجود مستر «أنتويسل» أيضاً، فإنه كان حاضراً يوم فاهت «كورا» بتصريحها المقلق). . . كما كان هناك أيضاً شخصان آخران. . . أحدهما رجل مسن قال إنه يدعى مستر «جوثري» خبير الفنون، وراهبة أو راهبتان جاءتا في وقت مبكر صباح ذلك اليوم لجمع التبرعات.

«والآن فإنني قررت أن أبدأ البحث بافتراض صحة ما ذكره موزع البريد. . . وإذن فلا بد من فحص موقف الأشخاص الأربعة الذين اتجهت إليهم الشبهة بكل دقة. . عن مس «جيلكريست» فإنها لم تنتفع على أية صورة من موت «رتشارد أبرناثي»، ولم تنتفع إلا بدرجة محددة جداً من موت مسز «لانكنير» ـ والواقع أن موت الأخيرة

تركها بلا عمل وجعلها في موقف يصعب عليها فيه أن توفق إلى عمل جديد... ثم أن مس «جيلكريست» نقلت إلى المستشفى بصورة لا شك فيها مصابة بتسمم زرنيخي.

«وعن «سوزان بانكس» فإنها انتفعت فعلاً من موت «رتشارد أبرناثي»، وإن كان دافعها هنا لا بد أنه كان متمثلاً في العمل على حماية نفسها... فربما توفر لها من الأسباب القوية ما جعلها تعتقد أن مس «جيلكريست» سمعت كلاماً دار بين «كورا لانكنير» وشقيقها فيه إشارة إليها، وربما قررت نتيجة لذلك أنه لا بد من التخلص من مس «جيلكريست»... ولعلكم تتذكرون أنها هي نفسها رفضت أن تتناول شيئاً من كعكة الزفاف، كما أنها كانت ترى تأجيل استدعاء الطبيب حتى صباح اليوم التالي، عندما أصيبت مس «جيلكريست» بحالتها المرضية ليلاً.

«وعن مستر «أنتويسل»، فإنه لم ينتفع من موت «رتشارد» وموت «كورا» ـ ولكنه مسيطر سيطرة تامة على كل ما يتعلق بالقضية؟ ورداً على هذا أقول: ليست هذه هي المرة الأولى بشئون «رتشارد» وأمواله... لكنكم سوف تقولون: إذا كان الفاعل هو مستر «أنتويسل» فلماذا لجأ إلي للتحقيق في القضية التي يكون فيها القاتل مبالغاً في الثقة بنفسه.

«والآن أنتقل إلى الشخصين الدخيلين على الأسرة: مستر «جوثري»، والراهبة... إذا صح أن مستر «جوثري» هو مستر «جوثري»، فإن هذا يبرىء ساحته... ونفس هذا ينطبق على الراهبة، إذا كانت راهبة حقاً... والسؤال هو: هل هاتان الشخصيتان أنفسهما حقيقة، أو أنهما تمثلان شخصيتين أخريين؟.

إذن فلدينا الآن أجزاء محددة المعالم في صورة القضية العامة: موت مستر «رتشارد أبرناثي»، ومقتل «كورا لانكنير» وكعكة الزفاف المسمومة، (وظاهرة) الراهبة.

«وسوف أضيف إلى هذا بعض ملامح أخرى للقضية استرعت انتباهي».

«زيارة خبير الفنون... ورائحة ألوان زيتية للرسم، وبطاقة مصورة لميناء «بولفلكسان»... وأخيراً باقة أزهار صناعية موضوعة فوق الطاولة الرخام..

إن تفكيري في هذه الأشياء هو الذي أفضى بي إلى الحقيقة... وأنا الآن على وشك أن أخبركم بها.

إن الجزء الأول من الحقيقة أخبرتكم به صباح اليوم... لقد توفي «رتشارد أبرناثي» فجأة - لكن ما كان يمكن أن يوجد سبب على الإطلاق يدعو إلى الاشتباه في وجود جريمة لولا تلك الكلمات التي تفوهت بها أخته «كورا» في الجنازة... إن (قضية مقتل «رتشارد أبرناثي» كلها) ترتكز على هذه الكلمات... إنكم جميعاً قد اعتقدتم نتيجة لهذه الكلمات أن هناك جريمة ارتكبت، وقد جاءكم هذا الاعتقاد لا بسبب الكلمات ذاتها حقاً، ولكن بسبب طبيعة «كورا لانكنير» نفسها... فإن «كورا» كانت مشهورة دائماً بأنها تتفوه بالحقيقة الصارخة العارية في المواقف الحرجة... وهكذا فإن قضية مقتل «رتشارد أبرناثي» لم تستند فقط إلى ما قالته «كورا»، ولكن إلى «كورا» نفسها.

والآن أصل إلى السؤال الذي سألته لنفسي فجأة:

«إلى أي حد كنتم تعرفون «كورا لانكنير» معرفة جيدة؟».

وصمت «بوارو» برهة... فقالت «سوزان» بحدة:

- ماذا تعني؟

فاستطرد «بوارو» يقول:

- الرد على السؤال هو هذا: إنكم لم تعرفوها معرفة جيدة بأي حال! فإن جيل الشباب منكم لم يرها قط، وإذا كانوا رأوها فقد كان ذلك وهم أطفال صغار جداً... وكان هناك في الواقع ثلاثة أشخاص

فقط من الحاضرين في ذلك اليوم كانوا يعرفون «كورا»... «لانسكوم» رئيس الخدم، وهو عجوز كفيف البصر... ومسز «ثيموذي أبرناثي» التي لم تشاهد «كورا» سوى مرات قليلة حوالي فترة زواجها هي، ومسز «هيلين أبرناثي» التي كانت تعرفها جيداً ولكنها لم ترها من مدة تزيد على عشرين سنة.

إذن فقد قلت لنفسي: (لنفرض أن التي جاءت إلى الجنازة في ذلك اليوم لم تكن هي «كورا لانكنير»؟).

وهنا هتفت «سوزان» بلهجة من لا يصدق ما يسمع:

ـ تقصد أن خالتي «كورا»، لم تكن هي التي ماتت مقتولة، ولكن امرأة أخرى؟

فرد «بوارو» قائلاً:

ـ لا... لا... إن التي ماتت مقتولة هي «كورا لانكنير»... ولكن لم تكن «كورا لانكنير» هي التي جاءت في اليوم السابق لحضور جنازة أخيها... إن المرأة التي جاءت في ذلك اليوم إنما جاءت لغرض واحد فقط ـ لكي تستغل ما حدث من وفاة «رتشارد» فجأة. ولكي تخلق في أذهان أقاربه الاعتقاد بأنه مات مقتولاً.. وهو ما نجحت في تحقيقه نجاحاً تاماً!

فقالت «مود» بحدة:

ـ كلام فارغ! لأي غرض! ما القصد من هذا؟

ـ لأي غرض؟ لتحويل الانتباه وإبعاده عن جريمة القتل الأخرى... عن جريمة قتل «كورا لانكنير» نفسها... لأنه إذا قالت «كورا» إن «رتشارد» مات مقتولاً، وفي اليوم التالي توجد هي مقتولة، فإن واقعتي القتل لا بد أن ينظر إليهما على الأقل من باب السبب والنتيجة... لكن إذا قتلت «كورا» واقترن القتل بالسطو على الفيللا، وإذا حدث أن السطو الظاهري لا يقنع البوليس، فعندئذ سوف يبحث البوليس ـ أين؟ يبحث في مسرح الجريمة، في الفيللا

ذاتها، أليس كذلك؟ إن الشبهة لا محالة ستحوم حول المرأة التي تعيش معها تحت سقف واحد.

وعندئذ قالت مس «جيلكريست» محتجة:

ـ آه! دع عنك هذا الكلام يا مسيو «بونتارلير»! لعلك لا تظن أنني أرتكب جريمة قتل من أجل مشبك مرصع وبعض لوحات مرسومة زهيدة؟

فقال «بوارو»:

ـ طبعاً لا... ولكن من أجل ما هو أكثر من ذلك... لقد كانت هناك يا مس «جيلكريست» واحدة من تلك اللوحات الزيتية المرسومة التي تصور ميناء «بولفلكسان»، والتي نقلت عن بطاقة مصورة تبين السقالة القديمة وهي لا تزال في مكانها ـ كما استطاعت مسز «بانكس» بذكائها أن تكشف حقيقتها لكن مسز «لانكنير» كانت ترسم صورها الزيتية دائماً نقلاً عن الطبيعة... إن ذلك جعلني أتذكر أن مستر «أنتويسل» المحامي كان قد تحدث عن وجود رائحة ألوان زيت للتصوير في الفيللا عندما ذهب إلى هناك لأول مرة...وأنت ترسمين بالزيت يا مس «جيلكريست»، أليس كذلك؟... وكان والدك فناناً، ولك معرفة كبيرة بالصور المرسومة... فلنفرض أن إحدى الصور التي اشترتها «كورا» رخيصة في أحد المزادات كانت صورة فنية ثمينة... ولنفرض أنها لم تعرف قيمتها الحقيقية، ولكنك أنت عرفت قيمتها... إنك كنت تعرفين أنها تنتظر زيارة قريبة من صديق قديم لها خبير بالفنون... وفي هذا الوقت يتوفى أخوها «رتشارد» فجأة، وسرعان ما تثب إلى ذهنك خطة معينة.. ومن السهل عليك أن تدسي لها دواء منوماً في فنجان الشاي الذي تشربه في الصباح، مما يجعلها تغيب عن الوعي طول يوم الجنازة بينما تقومين أنت نفسك بدورها وتمثلين شخصيتها في قصر «أندربي»... وأنت تعرفين القصر جيداً نتيجة استماعك إليها وهي تتكلم عنه... فهي قد تكلمت كثيراً عن أيام

طفولتها كما يفعل الناس وهم يتقدمون في مراحل الحياة.. وما أسهل عليك أن تبدئي الكلام إلى «لانسكوم» العجوز عن ذكريات حلوى «المارينج» وعن الأكشاك الصيفية لكي تطمئنيه إلى شخصيتك إذا كان عنده شك في ذلك... نعم.. إنك استخدمت معرفتك بالأجواء في قصر «أندربي» بصورة جيدة في ذلك اليوم، مع إبداء تلميحات كثيرة إلى هذا الشيء أو ذلك، وإثارة كثير من الذكريات... ولم يشتبه أحد منهم في أنك لست «كورا» الحقيقية... إنك حشوت ملابسك من الداخل قليلاً ليبدو قوامك مثل قوامها، ولم يكن أحد منهم قد رأى «كورا» في العشرين سنة الماضية... وفي خلال عشرين سنة تطرأ تغييرات على الناس حتى ليقول من يراهم: (لو رأيتها قبل ذلك لما عرفتها!).. لكن هناك خصائص معينة في سلوك الإنسان تبقى في ذاكرة الناس، وكانت لـ«كورا» خصائص معينة رحت أنت تمارسينها أمام المرآة بكل عناية..

ومن الغريب أن هناك فقط كانت أولى غلطاتك... فقد نسيت أن الصورة في المرآة تبدو معكوسة... فإنك عندما رأيت في المرآة انعكاس صورة وجهك وأنت تعيدين تمثيل الحركة المعروفة عن «كورا» وهي تميل رأسها إلى الجانب كما تفعل أثناء كلامها، لم تدركي أنك عكست في الواقع الوضع الطبيعي... ولنقل توضيحا لهذا أنك رأيت «كورا» تميل رأسها إلى (اليمين) ـ لكنك نسيت أن رأسك كان مائلاً في الواقع إلى (اليسار) لكي يحدث هذا التأثير في المرآة.

وهذا هو ما أثار حيرة وقلق «هيلين أبرناثي» في اللحظة التي تفوهت أنت فيها بالتصريح المشهور... إن شيئاً ما بدا لها (خاطئاً)... وقد أدركت بنفسي عندما ذكرت «روزاموند» في الليلة الماضية ملاحظة لم تقصدها ماذا يحدث في مثل هذا الموقف... وإذن، فعندما شعرت مسز «هيلين» بأن ثمة شيئاً (خاطئاً)، فلا بد أن يكون ذلك الشيء الخاطىء متعلقاً بـ«كورا لانكنير»...

ثم حدث أن «هيلين» جلست أمام المرآة... والمرجح أنها كانت تفكر في «كورا»، وتذكرت كيف كان من عادة «كورا» أن تميل رأسها إلى اليمين، وفعلت هذا، ونظرت في المرآة، وعندئذ بدت لها الصورة بالطبع (خاطئة)، أدركت في غمضة عين ما هذا الشيء الذي عدته (خاطئاً) في يوم الجنازة... والواقع أن ذلك أثار حيرتها... فإما أن تكون «كورا» قد أصبحت تميل رأسها في الاتجاه العكسي ـ وهو شيء أبعد ما يكون عن الاحتمال ـ وإما أن «كورا» لم تكن هي «كورا»... وسواء كان هذا أو ذاك فهو شيء بدا لها غير معقول... لكنها صممت على إبلاغ ما اكتشفته إلى مستر «أنتويسل» في الحال... وفي ذلك الوقت كان شخص معتاد على اليقظة المبكرة موجوداً عن كثب، وقد تبعها إلى الدور الأرضي، ولخوفه من الأقوال الجديدة التي قد تبديها مسز «هيلين»، فإنه لطمها على رأسها بأداة ثقيلة.

وتوقف «بوارو» برهة، ثم أضاف قائلاً:

ـ وأستطيع الآن أن أقول لك يا مس «جيلكريست» إن الارتجاج الذي أصيبت به مسز «هيلين» غير خطير.. فعن قريب سيكون بإمكانها أن تحكي لنا القصة بنفسها..

فقالت مس «جيلكريست»:

ـ إنني لم أفعل شيئاً مما تقول! هذا كله كذب وافتراء!

على أن «بوارو» لم يعبأ بها، واستطرد يقول:

ـ إن الإيحاء الذي قلته أنت يوم الجنازة عن القتل لم يكن بالطبع سوى الخطوة الأولى.. فقد كان في جعبتك أشياء أخرى... فقد كنت على استعداد في أية لحظة للإعتراف بأنك إستمعت إلى محادثة دارت بين «رتشارد» وأخته... وليس هناك شك في أن ما قاله لها في الواقع هو أنه لن يعيش طويلاً، وهذا يفسر عبارة غامضة وردت في الرسالة التي بعث بها إليها بعد عودته إلى القصر.. أما عن

تسميمك لنفسك - إلى درجة سيئة ولكن ليست مميتة - فإن هذه حيلة قديمة، ويجوز لي أن أقول إنها أدت إلى إثارة اشتباه المفتش «مورتون» في أمرك.

وهناك قالت «روزاموند»:

- ولكن عن الصورة؟ أي نوع من الصور كانت هذه؟

فبسط «بوارو» برقية في يده ببطء وراح يقول:

- إنني في صباح اليوم اتصلت تليفونياً بمستر «أنتويسل»، وهو شخصية مسئولة، وطلبت إليه أن يذهب إلى بيت مستر «تيموذي» في «ستاسفيلد جرانج» ويقول إن مستر «تيموزي» قد فوضه في البحث بين الصور الخاصة بمس «جيلكريست» والموجودة في غرفتها عن الصورة التي تمثل ميناء «بولفلكسان» فيأخذها بحجة وضعها في إطار جديد لتكون مفاجأة لمس «جيلكريست». وقد كلفته بأن يعود بالصورة إلى «لندن» ويقابل مستر «جوثري» خبير الفنون الذي أخطرته سلفاً ببرقية.. وقد أزيلت الصورة التي رسمتها أنت على عجل لميناء «بولفلسكان»، وظهرت تحتها اللوحة الفنية الحقيقية...

ورفع «بوارو» البرقية وقرأها:

«اللوحة بريشة «فيرمير» بلا شك - «جوثري»».

وفجأة انفجرت مس «جيلكريست» تقول وكأنما سرى فيها تيار كهربي..

- كنت أعرف أنها لوحة الفنان «فيرمير»! كنت أعرف ذلك! أما «كورا» فلم تعرفها رغم أنها اشترتها في المزاد كانت تتكلم عن لوحات «رمبرانت» وعن روائع الفن الإيطالي وهي في نفس الوقت عاجزة عن تمييز لوحة للفنان «فيرمير» وهي تحت أنفها! كانت تثرثر دائماً عن الفن، وهي لا تفهم من الفن شيئاً! إنها كانت في الواقع امرأة جاهلة غبية! كانت تهذي دائماً عن هذا المكان... عن قصر «أندربي»... وعما كانوا يفعلونه فيه وهم أطفال، وعن «رتشارد» و«تيموزي»

وبقيتهم! كانوا يتقلبون في النعيم والغنى! كان أولئك الأطفال يتمتعون بأجمل وأطيب ما في الحياة. ومن الصعب أن أصور لك كيف كان ثقيلاً على النفس أن أستمع إليها وهي تتكلم دائماً عن نفس الموضوع، يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة! وأثقل من هذا أن أجاملها في كل جملة تقولها وأجاريها في الاهتمام، في الوقت الذي كانت تضيق فيه نفسي بها وبكلامها المتكرر الممل السخيف! وفي الوقت الذي لم يكن لي فيه أمل في شيء! ثم فجأة تظهر لوحة من رسم الفنان «فيرمير»! لقد رأيت في الصحف أن إحدى لوحات «فيرمير» بيعت أخيراً بمبلغ خمسة آلاف جنيه!

فقالت «سوزان» بلهجة من لا يصدق ما يسمعه:

ـ أنت قتلتها... بتلك الطريقة الوحشية... من أجل خمسة آلاف جنيه؟!

فقال «بوارو»:

ـ إن خمسة آلاف جنيه تكفي لسداد إيجار وإعداد مشرب شاي جديد...

فالتفتت إليه مس «جيلكريست» قائلة:

ـ على الأقل، أنت وحدك تفهم... كانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن أنالها! كان لا بد لي من رأس مال كبير!

وتهدج صوتها بتأثير الحلم المستحوذ عليها، ومضت تقول:

ـ كنت أنوي أن أسميه «**مشرب شاي النخلة**»!

وأضع تماثيل جمال صغيرة كحوامل لقوائم الطعام! وكنت أنوي افتتاح المشرب في أحد الأحياء الراقية التي يتردد عليها كبار الناس! أنا واثقة أنني كنت سأنجح نجاحاً كبيراً!..

وتوقفت برهة... ثم عادت تقول بلهجة الحالمة:

ـ كنت سأختار موائد من خشب البلوط! وكراسي من الخيزران عليها وسائد مخططة بالأحمر والأبيض!.

وسادت فترة صمت بدا فيها وكأن مشرب الشاي الذي لن يكون أبداً أقرب إلى عالم الواقع من قاعة الجلوس العتيقة في قصر «أندربي» التي كانوا جلوساً بها.

وكان المفتش «مورتون» هو الذي قطع حبل الصمت... إذ قال:

- أظن أننا يجب أن نذهب الآن.

فالتفتت إليه «جيلكريست» بأتم أدب قائلة:

- آه... بالتأكيد... في الحال... لا أريد إيجاد متاعب من أي نوع... وعلى أي حال، ما دمت لم أستطع الحصول على «مشرب شاي النخلة»، فلا شيء بعد ذلك يهمني!...

وخرجت مع مفتش البوليس... فقالت «سوزان» بصوت مرتجف:

- لم أتصور في حياتي قاتلة لها أخلاق وتصرفات سيدات المجتمع كهذه المرأة! هذا شيء فظيع!...

الفصل الثامن عشر

قالت «روزاموند» وهي تنظر إلى «بوارو» بعينيها الواسعتين معاتبة:

ـ لكنني لم أفهم حتى الآن مسألة الأزهار الصناعية.

كان ذلك في مسكن «هيلين» بـ«لندن»... وكانت «هيلين» ذاتها جالسة على الأريكة مسترخية، وقد جلس «بوارو» و«روزاموند» يشربان الشاي معها.

وعادت «روزاموند» تقول:

ـ لست أفهم علاقة الأزهار الصناعية بالقضية.. أو بالطاولة الرخامية..

فراح «بوارو» يقول:

ـ الطاولة لا علاقة لها بالقضية فعلاً... ولكن مسألة الأزهار الصناعية كانت هي الغلطة الثانية التي صدرت عن مس «جيلكريست»... فقد قالت إن مظهرها كان جميلاً فوق الطاولة.. ولكنها لم تبصرها فعلاً وقتها فوق الطاولة... لأن آنية الأزهار الصناعية كانت قد انكسرت ورفعت من مكانها قبل مجيئها في صحبة «تيموزي أبرناثي» وزوجته «مود»... وإذن فلا يمكن أن تكون قد رأت الأزهار إلا عند وجودها ممثلة لشخصية «كورا لانكنير».

فقالت «روزاموند»:

ـ كان هذا غباوة منها في الواقع!

فقال «بوارو»:

- وهذا يبين لك يا سيدتي أخطار الكلام و(الدردشة)... إنني أعتقد اعتقاداً راسخاً أنك إذا استطعت استدراج إنسان للكلام معك وقتاً كافياً، في أي موضوع ما، فإنك سوف تكتشفين دخائله..

فقالت «روزاموند» ساهمة:

- سوف أرعى الحذر دائماً في كلامي.

ولم تلبث أن قالت وقد عادت إلى محياها إشراقته:

- هل تعلم أنه سيكون لي طفل؟ وأنني قررت أن أهجر المسرح واكتفي بأن أكون أماً.

- وهذا (دور) سينطبق عليك بشكل رائع... إنني أرى سلفا لقطات بديعة للطفل في المجلات التي تنشر أخبار المجتمع.

- نعم... هذا شيء رائع... هل تعرف أن «مايكل» سعيد بهذا؟ إنني لم أكن أتصور أنه سيكون هكذا!

وتوقفت برهة، ثم أضافت قائلة:

- إن «سوزان» أخذت الطاولة... فقد رأيت أنني ما دمت سأكون أماً...

وتركت الجملة دون أن تتم كلماتها.

فقالت «هيلين»:

- إن مشروع «سوزان» لمستحضرات التجميل يبشر بنجاح كبير..

فقال «بوارو»:

- نعم.. إنها ولدت لكي تنجح...

وقالت «روزاموند»:

- أما زوجها فقد سافر إلى جهة ما... وتقول «سوزان» إنه سافر في رحلة للعلاج والراحة.

* * *

وعندما عاد «بوارو» إلى مسكنه وجد المقعد الوثير المجاور للمدفأة يحتله «أنتويسل» المحامي، الذي ابتدره قائلاً:

- أهلاً يا «بوارو»... أنا عائد تواً من المحكمة... إن المحلفين أصدروا قراراً بإدانة المتهمة بالطبع... واعتقادي أن الحكم سيكون الإعدام... وأغرب ما في هذه المرأة هو هدوءها ورباطة جأشها، حتى أنها مازالت تعد مشروعات جديدة لفتح سلسلة من مشارب الشاي!

- إن الإنسان لا يتمالك أن يشك في تمام العقل والإدراك عندما دبرت جريمتها ونفذتها بكل برود.

فقال «بوارو» وقد سرت فيه رعدة خفيفة:

- إنني لن أنسى عبارة قالتها «سوزان» عندما وصفتها بأنها قاتلة لها أخلاق وتصرفات سيدات المجتمع!.

فقال المحامي:

- ولم لا؟ كل شيء جائز في عالم الإجرام!

«تمت»

لاعب البوكر

جلس «بايرون دوكاي» وحيداً أمام المائدة الخضراء ذات ثمانية الأضلاع... وإلى يمينه مائدة أخرى صغيرة عليها ثلاثة صفوف من فيشات البوكر البيضاء والحمراء والزرقاء... وإلى يساره مائدة متحركة حافلة بزجاجات الويسكي والنبيذ والكؤوس، وقنينات الصودا وآنية كبيرة مليئة بقوالب الثلج..

لم يكن بالغرفة ولا بالشقة كلها أحد سواه. وكان السكون شاملاً فلا صوت ولا حركة... فأخذ «بايرون» يعبث ببعض أوراق اللعب للتسلية وقتل الوقت.

إلى أن سمع باباً يفتح... وكان الباب في ركن من الغرفة لا يقع عليه بصره. فقال بصوت هادىء:

ـ تعال...

كان ينتظر قدوم أحد لاعبي البوكر، ولكن الرجل الذي ظهر أمامه بعد لحظة لم يكن أحد اللاعبين.

كان شاباً قصير القامة نحيل الجسم يرتدي سروالاً ملطخاً بالبقع وقميصاً مفتوح الصدر، وفي يده خنجر طويل.

لم يحاول «بايرون دوكاي» النهوض من مقعده... ولكنه كف عن العبث بأوراق اللعب وسأل:

ـ ماذا تريد..؟

فلم يجب الشاب، وأجال البصر حول الغرفة في ارتياب، ثم سأل بدوره:

ـ هل أنت وحدك هنا. . .

فأومأ «دوكاي» برأسه علامة الإيجاب. . . ولم يكن من الفطنة أن يفعل ذلك، لأن الشاب قال على الفور:

ـ حسنٌ. . . إذا لم تثر شيئاً من المتاعب فلن يصيبك أذى.

فقال «دوكاي»، وكان صوته في هذه المرة أكثر هدوءاً واتزاناً:

ـ ماذا تريد. . .؟

فلم يجب الشاب، ونظر حول الغرفة مرة أخرى.

ووقع بصره على زجاجات الخمر ولمعت عيناه وقال:

ـ سأتناول قدحاً من الشراب.

ـ اجلس، وسأقدم لك قدحاً.

وبدافع الحذر، اتخذ الشاب مكانه في الجانب الآخر من المائدة في مواجهة «دوكاي». أي على أبعد مسافة ممكنة منه، ووضع يده الممسكة بالخنجر على المائدة. فتألق النصل على الغطاء الأخضر كما تتألق الماسة على خلفية من القطيفة السوداء.

وسأله «دوكاي»:

ـ ماذا تشرب. .؟ نبيذاً أم ويسكي. .؟

وفوجىء الشاب بأن له أن يختار، وتردد قليلاً ثم أجاب:

ـ أريد نبيذاً. . قدحاً كبيراً من النبيذ مزوداً بقليل من قوالب الثلج.

وساد الصمت مرة أخرى، بينما راح «دوكاي» يسكب النبيذ من القدح. ثم دفع بالقدح إلى الشاب فتناوله هذا بيده اليسرى، ورفعه إلى شفتيه واحتسى منه جرعة كبيرة وقال:

ـ إنني أريد نقوداً. . . ومفاتيح سيارتك. . وأريد أن أعرف أين تركت سيارتك. . . كما أنني بحاجة إلى بعض الثياب.

فلم يأت «دوكاي» بحركة لإجابته إلى ما طلب، ولكنه قال في هدوء:

ـ يبدو أن هذه عملية سطو غير عادية.

فقال الشاب وهو يحتسي جرعة أخرى من الشراب:
- نعم.. إنها عملية سطو غير عادية.. فتحرك.. إنك سمعت ما قلت.

فقال «دوكاي» ليغير مجرى الحديث:
- من أنت على أي حال..؟
- ليس ذلك من شأنك.
- لا بد أنك «ريك ماسدن».
فارتسمت على شفتي الشاب ابتسامة تنم عن الخيلاء وقال:
- يخيل إلي أنك تتابع أنباء الراديو والتليفزيون.
- أحياناً..
- حسنٌ... أنا «ريك ماسدن»، وقد قتلت شخصين في مشرب في الأسبوع الماضي. قتلت صديقتي وعشيقها الجديد... واعتقلت بعد يومين... ولكنني استطعت الفرار أمس.
فقال «دوكاي» وهو يمد يده إلى أحد الأقداح:
- هل لديك مانع من أن أتناول قدحاً معك..؟

ولكن «ماسدن» ترك قدحه بسرعة، وصاح وهو يدق المائدة بيسراه في عنف:
- دعك من الشراب الآن... لقد ذكرت لك مطلبي ويجب أن تلبيه فوراً..
- لنتحدث في ذلك يا «ماسدن».
فقال الشاب والخنجر يهتز في يده:
- أصغ إلي يا هذا... إمّا أن تفعل ما أريد... وإما أن أمزقك إرباً كما فعلت بالآخرين.
ولكن «دوكاي» لم يجفل وقال بسرعة، وبصوت الآمر:
- الزم مكانك يا «ماسدن».. قبل أن تحاول تمزيقي، يحسن بك أن تصغي إلى ما أقول.

وأحس «ماسدن» بما في لهجة محدثه من تحد، فجمد في مكانه.. حتى خنجره كف عن الاهتزاز.. قال أخيراً:

ـ هأنذا مصغ...

ـ حسنٌ... دعنا نحلل موقفنا يا مستر «ماسدن»،... إننا نجلس في مكانين متقابلين أمام المائدة... وبيننا حوالي مترين... أنت في يدك خنجر. وأنا في الوقت الحاضر أعزل من السلاح... ولكني كنت أفكر منذ لحظة فيما أستطيع عمله إذا أنت قررت أن تلجأ إلى العنف. لا شك أنني يجب أن أدافع عن نفسي... فهل تعرف كيف سأفعل ذلك..؟ إذا أنت أتيت بأية حركة للنهوض من مقعدك فإنني سأقلب المائدة فوقك... أنا واثق من أنني أستطيع ذلك... قد تكون أصغر مني سناً يا «ماسدن»، ولكنك ترى أن حجمي ضعف حجمك تقريباً وسيكون الموقف كما يلي في المرحلة الأولى من معركتنا... ستكون أنت ملقى على الارض والمائدة فوقك... أو تكون ـ إذا ساعدك الحظ ـ ملتصقاً بالجدار، والمائدة بيني وبينك. هل تفهم ما أعني..؟

وأحس الشاب بالقلق والفضول رغم غضبه وأجاب:

ـ نعم..

ـ تنتقل إذن إلى المرحلة الثانية.. هل ترى المكتب الذي خلفي إلى اليسار يا «ماسدن»..؟ أظنك تستطيع من مكانك أن ترى الشيء الذي أعنيه يا «ماسدن».. إنه خنجر تركي مرصع أستخدمه في فض رسائلي.. وسيكون أول ما سأفعله بعد أن أقلب المائدة فوقك أن أتناول الخنجر.. وبذلك نتساوى في السلاح.. أليس كذلك يا «ماسدن»..؟

فحملق الشاب أمامه ولعق شفتيه بلسانه ولكنه لم يقل شيئاً.

ومضى «دوكاي» في حديثه.. فقال بمزيد من الثقة:

ـ هذه هي الخطوة الثانية.. وتستطيع أن تصفها بأنها نهاية الاستعداد للمعركة..

تأتي بعد ذلك الخطوة الثالثة وبها تبدأ المعركة ذاتها. فكيف سيكون موقفنا..؟

ومرة أخرى، لعق الشاب شفته ولم يجب.

قال «دوكاي»:

- دعنا نستعرض أسلحتنا يا «ماسدن».. ما نوع الخنجر الذي بيدك..؟

- إنه خنجر حاد النصل أعطانيه أحد السجناء.

فقال «دوكاي» وعلى شفتيه ابتسامة:

- اسمح لي أن أقول لك بأنني أتفوق عليك قليلاً في موضوع السلاح.. فإن خنجري أطول وأمضى وأفضل معدناً من خنجرك..

- أصغ إلي يا هذا...

ولكن «دوكاي» مضى في حديثه قال:

- هناك ما هو أهم من الأسلحة.. هناك أبطال المعركة أنفسهم، دعنا نقوم بمقارنة بسيطة.. كم عمرك يا «ماسدن»..؟

- تسعة عشر عاماً.

- أنا في الحادية والثلاثين.. هذه نقطة تفوق يسيرة لصالحك.. كم يبلغ وزنك..؟

- مائة وعشرون رطلاً..

- إنني أثقل منك بستين رطلاً.. وهذه نقطة تفوق لصالحي.. والآن.. لننظر إلى مؤهلاتنا.. إنني كنت بطل «أمريكا» في (البيسبول) منذ عشرة أعوام، ولعبت ظهيراً في الفريق القومي لكرة القدم.. وأجيد لعب التنس والسباحة، وأهم من ذلك أنني أتمرن ساعة كل يوم للاحتفاظ بلياقتي البدنية.. فلم يزد وزني جراماً واحداً منذ غادرت الجامعة.. وذلك أمر له أهميته.. والآن.. ما قيمتك الرياضية يا «ماسدن»..؟

فقر لون الشاب، وحاول أن يقول شيئاً، ولم يسعفه ذهنه..

قال «دوكاي»:

ـ دعني أحللك على ضوء ما أرى يا «ماسدن». . إنك تعاني من سوء التغذية بصفة مزمنة. . ليس لأنك لم تكن تجد ما تأكله. . وإنما لأنك لم تجد من يسهر على تغذيتك، وهكذا لم تتح لك فرصة لتناول الطعام المناسب. . هل تعرف أن نحولك غير عادي. .؟ أضف إلى ذلك العادات السيئة التي تمارسها. . أكبر الظن أنك تدخن منذ كنت في التاسعة أو العاشرة من عمرك. . ذلك واضح من البقع التي تصبغ أصابعك. والله وحده يعلم ماذا تدخن الآن. . لعلك تدخن شيئاً أقوى من التبغ. . ثم إنك تشرب من الخمر أضعاف ما أشرب. . انظر إلي يا «ماسدن» ثم انظر إلى نفسك. . وقل بصراحة أينا أقوى بنية وأصح بدناً.

فقطب الشاب ما بين حاجبيه، ونظر إلى مضيفه بحدة.

قال «دوكاي»:

ـ إننا لم نتكلم بعد عن أهم عامل في المعركة. . وأعني بـه الشجاعة. والرغبة في القتال وركوب الأخطار. . إنك كنت شجاعاً جداً عندما دخلت هذه الغرفة. . كنت شجاعاً لأن بيدك خنجراً. . ولأنك ظننت أنني أعزل. . ولكن ما مبلغ شجاعتك الآن. .؟ إنها أقل مما كانت منذ بضع دقائق فيما أعتقد. . إنك دخلت هذه الغرفة وأنت تتبختر وتهدد بتمزيقي إرباً. . أما الآن فهناك احتمـال كبير في أن تتمزق أنت إرباً. . إن موقفك لا يدعو إلى الارتياح التام كما ترى.

ـ أنت تحاول خديعتي. .

ـ أتعتقد ذلك. .؟ ما عليك لكي تتحقق إلاَّ أن تحاول النهوض من مقعدك.

وعاد «دوكاي» إلى الحديث، قال:

ـ ثمة مسألة أخرى لا يجب أن أغفلها. . هي مسألة الحافز. . قد لا تكون أشجع الرجال. . ولكن لديك حافز قوي للقتال، لأنك

إذا قتلتني فلن يصيبك ضرر، وستظفر بنقودي وسيارتي وأي شيء آخر تريده. أما إذا قتلتك فإنك لن تكون قد خسرت شيئاً أكثر مما كنت ستخسره قبل فرارك من السجن.

وهنا لمع في عيني الشاب شيء يشبه الأمل.

قال بصوت ينم عن الدهاء:

ـ ماذا ستربح من قتالك معي أيها السيد..؟

ـ هذا سؤال وجيه.. إن في مقدوري أن أدعك تأخذ ما تريد.. وبذلك أزيد متاعب البوليس وأرجىء اعتقالك يوماً أو أسبوعاً.. وقد يحدوني الأمل في أنك قد تذهب من هنا في سلام بعد أن تأخذ ما تريد.. دون أن تفعل بي أكثر من أن تشد وثاقي.. ولكني في الواقع لا أستطيع أن أثق بك إلى هذا الحد.. لأنك إنسان سافل شرير تجد لذة في ممارسة العنف وإيذاء الغير.

إنك قد تقنع بأن تركلني بقدمك.. ولكنك من جهة أخرى قد مارست القتل، ولا أظنك ستتردد في قتلي إذا سنحت لك الفرصة.

فقطب الشاب حاجبيه، وارتسم الشر في عينيه.

ومضى «دوكاي» يقول:

ـ أضف إلى ذلك يا «ماسدن» أنني لا أحبك كثيراً.. فأنت مخلوق سافل.. مجرد مخلوق سافل.. يسرني أن ألحق بك أعظم ضرر ممكن حتى ولو كلفني ذلك حياتي.

فتحرك «ماسدن» في مقعده بقلق ولكنه لم يحاول النهوض.. واهتز الخنجر في يده مرة أخرى.

قال:

إذن فسنتاقتل بالخناجر أيها السيد..؟

ـ ذلك ما سيحدث حتماً إذا حاولت النهوض من مقعدك.

فأفرغ «ماسدن» محتويات القدح في جوفه وقال:

ـ حسنٌ. ابدأ إذن أيها السيد.

ـ لم أقل لك إنني سأبدأ شيئاً. . أنا قلت لك ماذا أنوي عمله إذا أنت بدأت.

وكان الصمت في هذه المرة طويلاً وعميقاً.

كان كل من الرجلين يواجه الآخر. . وأيديهما على المائدة. . مع فارق واحد. . هو أن «ماسدن» كان ممسكاً بخنجر في يمناه.

وانتقلت عينا «ماسدن» من وجه «دوكاي» إلى المكتب. . وإلى الخنجر التركي. . ثم ارتدتا بسرعة.

قال:

ـ لماذا لا تعطيني ما أطلب. .؟ بضعة دولارات وبعض الثياب ومفاتيح السيارة. .؟ إن أموالك مؤمن عليها طبعاً فأنت لن تخسر شيئاً. . لماذا لا تعطيني ما أطلب. .؟

ـ ذلك لن يكون.

فعض الشاب على شفته وقال:

ماذا سيحدث إذن أيها السيد. .؟ هل سنظل جالسين هكذا. .؟ قلت إنني إذا أتيت بحركة فإنك ستقلب المائدة علي وتختطف الخنجر وتبدأ المعركة. . فنحن بين أمرين. . إما أن نتقاتل أو نظل جالسين أليس كذلك. .؟ في حين أنني يجب أن أذهب. .

وفجأة. . ومض في ذهنه خاطر، وهم بالنهوض ولكنه عدل عن ذلك على الفور وصاح:

ـ فهمت. . إنك تنتظر قدوم بعض أصدقائك للعب الورق، وتحاول أن تستبقيني هنا إلى أن يحضروا.

فظل «دوكاي» على هدوئه وقال:

ـ إنني ألعب لعبة بارعة أليس كذلك يا «ماسدن». .؟ نعم إني أتوقع قدومهم في أية لحظة.

ـ ولكنك لن تمضي بغير عقاب.

ـ ما زال في استطاعتك أن تختار. . في مقدورك أن تنهض من

مقعدك فأقلب المائدة عليك وأختطف خنجري.. وبذلك تتهيأ لك الفرصة لتجرب حظك..

فصاح الشاب وهو يرتجف:

- ولكني لن أستطيع البقاء هنا إلى الأبد.

- يوجد حل آخر بطبيعة الحال يا «ماسدن»..؟

فهتف الشاب وقد تألق الأمل في عينيه:

- ماذا تعني...؟

- إذا تقاتلنا فإنني سأتعرض أيضاً للخطر.. وأنا لا أحب المخاطرة لذاتها.. ولذلك فإنني على استعداد لمساومتك، سلامتي في مقابل هروبك.. أعني هروبك صفر اليدين.

- استمر.. إنني مصغ إليك.

- إنني أشعر بالخطر ما دام هذا الخنجر في يدك.. لأنك قد تنهض فجأة فلا أدري هل ستهاجمني أم ستفر.. إن نهوضك سيجعل المعركة أمراً محتوماً مهما تكن حقيقة نواياك.. هل فهمت ما أعني..؟

- أظن أنني فهمت.

- إن خنجرك هو مفتاح الموقف.. أنت تريد الفرار وأنا لا أريد القتال. وما دام هذا الخنجر في يدك فإنك لن تستطيع حراكاً دون أن تقوم معركة.. الحل الوحيد إذن هو أن تلقي بخنجرك على المائدة.

- ماذا..؟

- نعم.. الحل الوحيد.. هو ألاّ يحمل أحد منا سلاحاً.

- وماذا يكون من أمري..؟ هل نسيت أنك رجل رياضي..؟

- إن المائدة بيننا.. وأنت أقرب إلى الباب، ولن يكون في استطاعتي اللحاق بك.

- ولكنك قد تتصل بالشرطة تليفونياً.

فابتسم «دوكاي» وقال:

- أنت شاب ذكي يا «ماسدن».. الواقع أنني لم أفكر في

ذلك.. ولكني على استعداد لأن أعقد صفقة أخرى.. تليفوني مقابل خنجرك.

إن تليفوني هنا على المكتب فإذا سمحت لي فإنني سأمد يدي وأنتزع التليفون من أسلاكه. ومتى فعلت ذلك فعليك أنت أن تلقي بخنجرك على المائدة وتطلق ساقيك للريح.

ففكر «ماسدن» في هذه الصفقة.. وفكر بسرعة وتركيز.. بينما كانت عيناه تصعدان «دوكاي» وتقيسان اتساع كتفيه. ومدى صلابته.

وأخيراً قال:

- حسنٌ.. انتزع التليفون أولاً وسأظل محتفظاً بخنجري فإذا حولت يدك إلى الخنجر بدلاً من التليفون.

فقاطعه «دوكاي» قائلاً:

- ما عليك إلاَّ أن تتبعني ببصرك.

وببطء، ودون أن يحول عينيه عن غريمه، مد «دوكاي» يده اليسرى إلى المكتب، وأمسك بآلة التليفون وجذبها بقوة.. فانقطعت الأسلاك.

قال:

- هل اطمأننت الآن..؟

وألقى بالتليفون على الأرض واستطرد قائلاً:

- الآن.. ألقِ بخنجرك إلى وسط المائدة حيث لا يسهل على أحدنا التقاطه.

والتقت عيونهما.

كان كل منهما لا يزال يرتاب في الآخر ولا يثق بـه. ومرت لحظة لم يبد أحدهما خلالها حراكاً.

وأخيراً قال «دوكاي»:

- هلمّ يا «ماسدن».. ما دام الخنجر في يدك فلن تستطيع الحراك من هذا المقعد.

وفي صمت، وعلى كره منه، ألقى «ماسدن» بالخنجر إلى وسط المائدة، وقال:

- ابقَ حيث أنت لأنني سأنصرف.

فقال «دوكاي»:

- يؤسفني أنني لا أستطيع أن أشد على يدك وأتمنى لك حظاً سعيداً.

* * *

وفي هذه اللحظة.. سمع الرجلان حركة في الخارج، وتردد «ماسدن» لحظة في تأويل ما سمع.. ثم وثب من مقعده.. وانطلق يعدو نحو الباب.

ولم يتحرك «دوكاي» من مكانه.. ولكنه أمسك بحافة المائدة وصاح بأعلى صوته:

- إقبض على هذا الشاب يا «سام».. إنه مجرم.

* * *

وحدثت جلبة خارج الغرفة.. اقترنت بصياح وسباب.. ولم يحاول «دوكاي» مغادرة مقعده، وقنع بالإصغاء إلى ما يحدث في الخارج.

واستمرت المعركة خارج الغرفة بضع ثوان أخرى.. وانتهت بصوت لكمة قوية وسقوط جسم.

وحينئذ فقط اعتدل «دوكاي» في مقعده، وتنفس الصعداء، وجفف العرق المتصبب على جبينه.

* * *

وبعد ساعتين، عاد الكابتن «سام ويليمز» إلى شقة «دوكاي» ليشترك في لعب البوكر.

كان قد قضى هاتين الساعتين في مركز الشرطة، حيث أسلم «ريك ماسدن» إلى رجال الأمن، وأدلى بأقواله عن كيفية اعتقاله.

* * *

ونظر الكابتن «سام» إلى «دوكاي» وهز رأسه وقال:

ـ لا أحسبني سأجرؤ على لعب البوكر معك مرة أخرى يا «دوكاي».. لم يخطر ببالي قط أن لك كل هذه المقدرة على الخداع.

فقال «دوكاي»:

ـ هذا إطراء لا أستحقه.. الواقع أنني كنت حسن الحظ فحسب.. قبل أن تذهب زوجتي لزيارة أختها، رجوتها أن تساعدني على الانتقال من الكرسي المتحرك إلى هذا المقعد أمام المائدة.. إنني أفضل في بعض الأحيان أن أستقبلكم وأنا جالس في مقعدي.. إن ذلك يشعرني بأنني لست كسيحاً تماماً.. ولو قد رآني «ماسدن» جالساً في الكرسي المتحرك لما استطعت خداعه لحظة واحدة.

فأطرق «سام» موافقاً.. وأرسل بصره عبر الباب إلى غرفة النوم، حيث كان الكرسي المتحرك يتألق تحت المصباح الكهربائي.

لا شك أن «ريك ماسدن» لم ير هذا المقعد، أو لعله رآه، ولم يفطن إلى علاقته بالرجل الجالس أمام مائدة البوكر.

تمت

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى ١٠٣ لغات
- بيع من كتبها أكثر من ٦٥٠ مليون نسخة باللغة الانجليزية وحدها .

كاتبة روايات بوليسية ، ولدت في جنوب غرب انجلترا الأب أميركي وأم إنجليزية ، لكنها تقول «إني إنجليزية» ، تزوجت عام ١٩١٤ من الكولونيل أرشيبالد كريستي ، انجبت منه إبنة متزوجة ، انفصلت عنه العام ١٩٢٨ ثم تزوجت في العام ١٩٣٠ من المهندس الأثري البريطاني ماكس مالوان ، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين ، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعا ، فرواياتها كبيرة متكاملة ، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائما ، لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور ه... الشخصية في الرواية ، كما تميزت أيضا بأن أشخاص رواياته... أشخاص عاديون ، ولكنهم تعرضوا ـ في الرواية ـ لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان ، كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها ، ع... عكس ما اتبعه الآخرون ، إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ... يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء ، ولم تهدف إلى الإثارة ، و... تلجأ إليها إلا إذا كان أبطال الرواية شبانا يطاردون الجواسي... أو يطاردون عصابات خطيرة ، كما تضمَّنت رواياتها أهدا... إنسانية فحواها أن (الجريمة لا تفيد) وأن الخير هو المنتصر ... النهاية .

الثمن: ١٥٠ ل.س